الفصل الرابع
الفرق الإسلامية

obeikandl.com

obeikandl.com

تمهيد:

قضى أمر الخلافة[1] حين تمت البيعة لأبى بكر الصديق - رضى الله عنه - وتفرغ الصديق لمواجهة الأحداث، والقيام بأمر المسلمين ورعايتهم، وكان عونه على ذلك أصحاب رسول الله - ﷺ - وعلى رأسهم: عمر بن الخطاب، وعلى ابن أبى طالب، وعبد الرحمن بن عوف، وعثمان بن عفان . . وغيرهم من أصحاب رسول الله - ﷺ - وقد امتدت خلافة الصديق سنتين وشهوراً، ثم مرض مرضه الذى مات فيه فأشرف على الناس وهو يقول: أترضون من أستخلف

---

١ - الخلافة لغة: من خلف فلان فلانًا إذا كان خليفته وجاء من بعده. والخلافة فى الإسلام منصب سياسى يجمع صاحبه بين السلطتين: الزمنية والروحية، ولكن وظيفته الدينية لا تتعدى المحافظة على شرع الله، ومن حقه قيادة الدولة الإسلامية ورسم سياستها وتنفيذها على المستويين: الداخلى والخارجى. وواجبه تبليغ الدعوة الإسلامية ونشرها، وله أن يعاقب الخارجين على أوامر الشرع، ويؤم الناس فى الصلوات. وقد نشأ منصب الخلافة باعتباره ضرورة فرضتها الظروف السياسية عقب وفاة النبى ﷺ، وكان نتيجة للمناقشات الحرة التى جرت بين الصحابة فى سقيفة بنى ساعدة، حيث كان اجتماع السقيفة هذا أشبه بجمعية تأسيسية مناط بها البحث فى مصير أمة بعد وفاة قائدها، وقد دارت المناقشات فيه بحرية كاملة انبثق عنها قيام نظام الخلافة، هذا النظام استمر بشكل أو بآخر فى العالم الإسلامى حتى القرن العشرين، ولم يغب عن مجتمعنا إلا بعد أن قام "مصطفى كمال أتاتورك" بإلغائه سنة (١٣٢٣هـ/ ١٩٢٤م) عقب انهيار الخلافة العثمانية. ومن أبرز تعريفات الخلافة تعريف ابن خلدون وهو: "الخلافة هى حمل الكافة على مقتضى النظر الشرعى فى مصالحهم الأخروية والدنيوية الراجعة إليها، إذ أحوال الدنيا ترجع كلها عند الشارع إلى اعتبارها بمصالح الآخرة، فهى فى الحقيقة خلافة عن صاحب الشرع فى حراسة الدين وسياسة الدنيا به". (انظر: الأحكام السلطانية للماوردى، ونظام الدولة فى الإسلام لعبد الله محمد جمال الدين، ومقدمة بن خلدون).

عليكم؟ فإنى والله ما ألوتُ من جهد الرأى، ولا وليت ذا قرابة، وإنى قد استخلفت عمر بن الخطاب، فاسمعوا له وأطيعوا، فقالوا: سمعنا وأطعنا[1].

واستمرت خلافة "عمر" عشر سنين بعد أبى بكر - رضى الله عنهما - فكانت إمارته فتحًا، اتبع فى عمله سنة صاحبيه وآثارهما. وفى سنة ثلاث وعشرين مات الخليفة العادل متأثرًا بضربات أبى لؤلؤة المجوسى، ولم يستخلف بعده أحدًا. دعا عمر عليًا وعثمان وسعدًا وعبد الرحمن بن عوف والزبير ابن العوام فقال: إنى نظرت فوجدتكم رؤساء الناس وقادتهم، ولا يكون هذا الأمر إلا فيكم، وقد قُبِضَ رسول الله - ﷺ - وهو عنكم راضٍ، إنى لا أخاف الناس عليكم إن استقمتم، ولكنى أخاف عليكم اختلافكم فيما بينكم فيختلف الناس"[2].

لقد تحرج أن يجعلها لواحد من هؤلاء على التعيين، وقال: لا أتحمل أمرهم حيًا وميتًا، وإن يرد الله بكم خيرًا يجمعكم على خير هؤلاء كما جمعكم على خيركم بعد نبيكم ﷺ. ثم انتهى الأمر إلى خلافة عثمان.

وفى خلافة عثمان - رضى الله عنه - نشطت حركة الشيعة، وأشعل الشعوبيون[3] من الفرس نار الفتنة، وقاموا بالطعن فى سياسة عثمان، وبدأت الفتنة تأتى ثمارها، وانتهى الأمر بمقتل عثمان.

---

١ - الطبرى، تاريخ الرسل والملوك، ج٣، ص٤٢٨.

٢ - ابن قتيبة، الإمامة والسياسة، ص٢٥.

٣ - الشعوبية لغة كلمة منسوبة للشعوب، فهى بذلك لا تفرق بن شعب وآخر من حيث الرفعة أو الضعة، وإنما تدعو للمساواة، وهى بذلك متفقة مع الفكر الإسلامى الذى يرى أنه لا فضل لعربى على أعجمى إلا بالتقوى. وبدأ الإسلام يتسع على يد العرب، ويضم أقوامًا لهم فى التاريخ مكان مجيد، وجاء العصر الأموى الذى كان يعتمد على سيوف العرب فى فتوحاته وتوسعه، وظهرت روح جديدة لا يقرها الإسلام، وهى الفرق بين العرب والموالى، وفى أيسر تعريف للموالى أنهم المسلمون من غير العرب، وأحس العرب بتفوق جنسهم الذى كان منه الخلفاء والأمراء والكتاب والشعراء والفقهاء،=

استمر الثوار فى نزاع فيمن يخلف عثمان بالخلافة خمسة أيام، وانتهى الخلاف بمبايعة على[1] - رضى الله عنه - بالخلافة، وأرسل على إلى الولاة فى جميع الأمصار لكى يبايعوه فامتنع معاوية، وهو من بنى أمية، وكان على قرابة من عثمان، واشترط فى مبايعة علىّ أن يأخذ بثأر من قتل عثمان، ولكن عليًا أراد أن يؤمِّن جانب المسلمين، وأجل أن يأخذ بالثأر، وأصر معاوية على ذلك[2]، وزاد

=وافتخر الغرب بجنسهم ولم يساووا بين العرب والموالى وبخاصة من الفرس. ومن هنا بدأ للشعوبية معنى جديد فى التاريخ يرمى إلى التعصب لغير العرب، وساعد على ذلك أن الدولة العباسية قامت بسيوف فارسية، وأن مفكرى الفرس اهتموا بالتفوق فى مجالات الأدب والشعر والتفسير والفكر، وأصبح منهم العديد من الوزراء والسفراء والأدباء والمفسرين والمؤرخين. وبدءوا بحاضرهم وماضيهم يعدون أنفسهم أسمى من العرب، وهذا هو المعنى الذى آل إليه معنى الشعوبية فأصبح للشعوبية معنى مزدوج هو الحط من الجنس العربى، والنيل من الدين الإسلامى، ووسيلتها لذلك التعصب لرفع شأن غير العرب. ويصور الجاحظ حركة الشعوبية وأهدافها بقوله: إن عامة من ارتاب فى الإسلام كانت الشعوبية أساس ارتيابهم فلا تزال الشعوبية تنتقل بأهلها من وضع إلى وضع حتى ينسلخوا من الإسلام؛ لأنه نزل على نبى عربى، وكان العرب حملة لوائه عندما نزل. (انظر: البيان والتبيين ١: ١٠٦٣؛ الشعوبية للدكتور نبيه حجاب).

١ - عن محمد ابن الحنفية قال: "أتى على دار عثمان وقد قتل، فدخل إلى داره، أغلق بابه عليه، فأتاه الناس فضربوا عليه الباب وقالوا: إن هذا الرجل (عثمان) قد قتل، ولابد للناس من خليفة، ولا نعلم أحدًا أحق بها منك. فقال لهم على: لا تريدونى، فإنى لكم وزير خير لكم منى أمير. فقالوا: لا والله لا نعلم أحدًا أحق بها منك، قال: فإن أبيتم علىَّ فإن بيعتى لا تكون سرًا، ولكن أخرج إلى المسجد فمن شاء أن يبايعنى. فخرج إلى المسجد فبايعه الناس" (أخرجه أحمد برقم ٦٩٦، وإسناده صحيح). وأهل السنة مجمعون على أن أفضل الصحابة بعد عثمان بن عفان هو على بن أبى طالب، والمنصوص عند الإمام أحمد تبديع من توقف فى خلافة على، وقال: هو أضل من حمار أهله، وأمر بهجرانه (انظر مجموع الفتاوى ٤: ٤٣٨).

٢ - لقد رأى على - رضى الله عنه - فى تأخير القصاص أقل مفسدة من تعجيله؛ لأن عليًا لا يستطيع قتل قتلة عثمان لأنهم غير معروفين بأعيانهم، وإن كان هناك رؤوس للفتنة=

الأمر تأزمًا أن بعض الأمويين اتهموا عليًا بالتواطؤ مع بعض من قتل عثمان، واستمرت هذه الفتن وانتهت بموقعة الجمل (٣٦هـ) وغيرها من المعارك التى استمرت بين علىّ ومعاوية حتى انتهت بالتحكيم[1] الذى انتهى لغير صالح علىّ،

=ولهم قبائل تدافع عنهم، والأمن غير مستتب، ومازالت الفتنة قائمة. ولذلك لما وصلت الخلافة إلى معاوية - رضى الله عنه - لم يقتل قتلة عثمان أيضًا لأنه صار يرى ما كان يراه على، وإن كان قد أرسل من قتل بعضهم ولكن بقى آخرون إلى زمن الحجاج فى خلافة عبد الملك بن مروان حتى قتل آخرهم. (راجع الدراسة القيمة التى قام بها عثمان محمد الخميس، حقبة من التاريخ، مكتبة الإمام البخارى، ٢٠٠٨ ط٤).

١ - من المعلوم أن معاوية لم ينازع عليًا الخلافة أبدًا، ولم يكن القتال بين على ومعاوية بسبب الخلافة، ولكن القتال سببه أن عليًا يريد أن يعزل معاوية، ومعاوية رافض للعزل حتى يقُتل قتلة ابن عمه، أو يسلمون إليه، فلم يكن الموضوع الخلافة كما شاع، ولذلك لما صار التحكيم وكتب: هذا ما عاهد عليه على أمير المؤمنين معاوية بن أبى سفيان. قال: لا تكتب أمير المؤمنين، لو بايعتك على أنك أمير المؤمنين ما قاتلتك، ولكن اسمى واسمك فقط، ثم التفت إلى الكاتب وقال: اكتب اسمه قبل اسمى لفضله وسابقته إلى الإسلام.

وقد رأى الباحث ضرورة التحقق من قضية التحكيم، فقد سمعت بأذنى من يسب عمرو بن العاص - رضى الله عنه - على أنه خادع أبو موسى الأشعرى - رضى الله عنه - فقصة التحكيم المشهورة أن عمرو بن العاص اتفق مع أبى موسى الأشعرى على عزل على ومعاوية، فصعد أبو موسى الأشعرى المنبر وقال: أنا أنزع عليًا من الخلافة كما أنزع خاتمى هذا، ثم نزع خاتمه، وقام عمرو بن العاص وقال: وأنا أنزع عليًا كذلك كما نزعه أبو موسى وكما أنزع خاتمى هذا، وأثبت معاوية كما أثبت خاتمى هذا. فكثر اللغط، وخرج أبو موسى غاضبًا ورجع إلى مكة، ولم يذهب إلى على فى الكوفة، ورجع عمرو بن العاص إلى الشام (راجع القصة فى تاريخ الطبرى، والكامل فى التاريخ). وهذه القصة راويها "أبو مخنف" وأبو مخنف هذا هو لوط ابن يحيى أبو مخنف، قال العباس ابن محمد الدورى عنه: سمعت يحيى ابن معين يقول: أبو مخنف ليس بثقة، حدثنا عبد الرحمن قال: سمعت أبى يقول: أبو مخنف متروك الحديث=

حيث خرج عليه بعض أنصاره لقبوله التحكيم، وكفروا عليًا وكفروا معاوية، وهؤلاء هم الذين سُموا بالخوارج والحرورية (نسبة إلى قرية لجأوا إليها) وكانت مجموعة أخرى تقف ضد هؤلاء الخوارج، وهم الذين تشيعوا لعلىّ بمعنى ناصروه وتابعوه، وسميت هذه الفرقة بالشيعة.

إن الأمة قد تفرقت، وغلا كل الفرقاء بعضهم فى بعض، وكان على ومن معه أقرب الطوائف إلى الحق، بيد أن الطامة الكبرى إنما جاءت بعد قتل الإمام على رضى الله عنه، ثم قتل الحسين بن على والتنكيل بأهل بيته.

روى البخارى عن أبى هريرة - رضى الله عنه -، أن النبى - ﷺ - قال: "لتأخذن أمتى مآخذ القرون قبلها شبراً بشبر، وذراعًا بذراع، قالوا: فارس والروم؟ قال: فمن الناس إلى أولئك؟!".

وقد ثبت فى الصحيح عن النبى - ﷺ - أنه قال: "لتتبعُنَّ سنن من كان قبلكم حذو القُذَّة بالقُذَّة، حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه" قالوا: يا رسول الله: اليهود والنصارى؟ قال: "فمن"؟[1].

=(راجع: الجرح والتعديل لابن أبى حاتم، ج٥، ص١٧٤، رقم: ١٠٣٠). فالقصة مكذوبة، وكيف لا وعمرو بن العاص صحابى جليل أسلم وهاجر طوعًا لا كرهًا، ولم يكن فى المهاجرين نفاق لعدم الحاجة إليه، بل أن الرسول - ﷺ - قال فى حقه: "ابنا العاص مؤمنان عمرو وهشام" (رواه أحمد ٢: ٣٠٤). والقصة الحقيقية هى أن عمرو بن العاص التقى مع أبى موسى الأشعرى فقال: ما ترى فى هذا الأمر؟ قال أبو موسى: أرى أنه من النفر الذين توفى رسول الله - ﷺ - وهو عنهم راض. فقال عمرو بن العاص: فأين تجعلنى أنا ومعاوية؟ قال أبو موسى: إن يستعن بكما ففيكما المعونة، وإن يستغن عنكما فطالما استغن أمر الله عنكما. ثم انتهى الأمر على هذا ورجع عمرو بن العاص إلى معاوية ورجع أبو موسى الأشعرى إلى على. (راجع قضية التحكيم فى تاريخ دمشق، ترجمة عمرو بن العاص، وانظر كتاب: مرويات أبى مخنف فى تاريخ الطبرى. كذلك راجع دراسة عثمان محمد خميس، حقبة من التاريخ).

١ - متفق عليه من حديث أبى سعيد الخدرى.

لقد أخبر النبى - ﷺ - بأن هذه الأمة ستفترق، وأخبر أن افتراقها سيكون أعظم من افتراق الأمم التى قبلها من أهل الكتابين "اليهود والنصارى"، وأخبر بما هو أعظم من ذلك، وهو أنها سوف تحتذى بالأمم الكافرة "فارس والروم" فى كل الموبقات التى يترفع عنها المسلم، والتى لا يصدق أنها قد تقع منه.

وسبب ضلال هذه الفرق عدولهم عن الصراط المستقيم الذى أمرنا الله بإتباعه، قال تعالى: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ... ﴿١٥٣﴾﴾[1] وقال تعالى: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾﴾[2] فوحَّد لفظ "صراطه" و"سبيله"، وجمع "السبل" المخالفة له.

وكان القرآن هو هدفهم الأول الذى يقصدون إليه جميعًا، كل يبحث فى القرآن ليجد فيه ما يقوى رأيه ويؤيد مذهبه، وكل واجد ما يبحث عنه ولو بطريق إخضاع الآيات القرآنية لمذهبه، والميل بها مع رأيه وهواه، وتأويل ما يصادمه منها تأويلاً يجعلها غير منافية لمذهبه ولا متعارضة معه.

قال بن مسعود - رضى الله عنه - خط لنا رسول الله - ﷺ - خطًا، وقال: "هذا سبيل الله، ثم خطَّ خطوطًا عن يمينه وعن يساره، وقال: هذه سبل، على كل سبيل شيطان يدعو إليه، ثم قرأ: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ... ﴿١٥٣﴾﴾[3] ولهذا شرع الله تعالى فى الصلاة قراءة أم القرآن فى كل ركعة، إما فرضًا أو إيجابًا، على حسب اختلاف العلماء فى ذلك لاحتياج العبد إلى هذا الدعاء العظيم القدر، المشتمل على أشرف المطالب وأجلها. فقد أمرنا الله تعالى أن نقول: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿٦﴾ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ﴿٧﴾﴾[4]..

---

١ - سورة الأنعام: ١٥٣ .

٢ - سورة يوسف: ١٠٨ .

٣ - صحيح، رواه الحاكم.

٤ - انظر: شرح العقيدة الطحاوية، ص ٥٢٦.

والحديث معجزة من معجزات النبـى - ﷺ -؛ لأنه أخبر فيه عن أمر غيبى فوقع كما أخبر به . وفى الحديث إخبـار عن تشبه هذه الأمة بمن سبقها من الأمم، مصداقًا لقـوله ﷺ: لتتبعن سنن من كان قبلكم حذو الـقذة بالقذة حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتمـوه. رواه بهذا اللفظ أحمد[1] فى مسنده، ولذا فقد استوعبت فرق الأمم قبلها وهى اثنتان وسبعون فـرقة وزادت عليها واحدة، وهى الفرقة التى سلمت من مشـابهة اليهود والنصـارى، وهى الصحابة رضـوان الله عليهم، ومن سار على نهجهم من المسلمين إلى آخـر الدهر، وهم أهل السنة والجماعة، ومنهم أئمة الهدى: كالشافعى وأحمد ومالك وأبى حنيفة وسفيان ومن سلك سبيلهم.

يقول فـيصل عـون: إن الصراع بين المدارس والفرق لا ينبـغى أن يصل إلى حد التكفير، فلا يكفر البـعض البعض الآخر؛ لأنه لا يحق لأحد أن يزعم امتلاك الحقيـقة، إن الحقيـقة ليست مقتـصرة على فرد أو طائفة، ومن ثـم لا يوجد حتى اليوم من يزعم أنه وحده على حق وأن الآخرين على باطل[2].

---

١ - هو أحمـد بن محمد بن حنبل، أصلـه من مرو، وكان أبوه والى سرخس. ولد ببـغداد سنة ١٦٤ هـ، وتوفى سنة ٢٤١ هـ. نشـأ منكبًـا على طلب العلم، وسافـر فى سبـيله أسفارًا كثيرة إلى الكوفة والبـصرة ومكة والمدينة واليمن والشام والمغرب والجزائر والعراق وفارس وخراسان. أخذ عـنه خلق كثيرون منهم: الإمام البخارى والإمام مـسلم. ويتميز مذهبه بأنه لا يعدل عن النص سواء كان مـن كتاب الله أو سنة رسول الله إلى قول أحد مهما كان، ثم يأخذ بقول الصحـابى، وإن كان فى المسألة رأيان لصحابيين، ولم يستطع ترجيح أحدهما عن الآخـر كان له روايتان. مذهبه هو المذهب الرسمى للمـملكة العربية السعودية، وهناك قلة منـهم فى مصر والعراق وبعض إمارات الخليج العـربى. من أشهر أقواله - رضى الله عـنه -: "لا تقلدنى ولا تقلد مالكًا ولا الشـافعى ولا الأوزاعى ولا الثورى وخذ مـن حيث أخذوا" (الإعلام لابن القيـم) . قال حرملة: سمعت الـشافعى يقول: خرجت من العراق فما تركت رجلاً أفضل ولا أعلم ولا أروع ولا أتقى من أحمد بن حنبل. (انظر ترجمة الإمام أحمد فى كتاب الزهد).

٢ - فيصل عون (٢٠٠٨). علم الكلام ومدارسه. ص ١٦٠ .

ونريد أن نذكر أنه بسبب الفرق التى ظهرت فى حاضرة الإسلام اعترى تاريخ الأمة الإسلامية كثير من التشويه والدس والتحريف، فوجدنا من الأمة من تعدى الحد الشرعى فى محبة الأشخاص، فأحب الصحابى الجليل على بن أبى طالب حبًا أفسد عليه أمره، فنسب إليه ما لا يقبل من الحوادث والأخبار. وهذا على يقول: "ليُحِبُّنى قوم حتى يدخلوا النار فىّ، وليبغضُنى قوم حتى يدخلوا النار فى بغضى"[1]، فالحقيقة بينها النبى - ﷺ - فى قوله: "كلهم فى النار إلا واحدة: ما أنا عليه وأصحابى".

أهل السنة: Sunnis

أهل السُّنَّة هم المتَّبعون للسنَّة المتمسكون بها، وهم الصحابة ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين. قال ابن رجب[2]: "السُّنَّة طريقة النبى - ﷺ - التى كان عليها هو وأصحابه السالمة من الشبهات والشهوات"، ثم صار معنى السنة فى عرف كثير من العلماء المتأخرين من أهل الحديث وغيرهم: " عبارة عن ما سلم من الشبهات فى الاعتقادات خاصة فى مسائل الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، وكذلك فى مسائل القدر وفضائل الصحابة" وقال الآلوسى[3]:

---

١ - أخرجه بن أبى عاصم فى السنة برقم (٩٨٣)، وقال الألبانى إسناده صحيح.

٢ - ابن رجب (٧٣٦ - ٨٩٥ هـ): هو عبد الرحمن بن أحمد بن أحمد بن رجب الحنبلى أبو الفرج زين الدين وجمال الدين أيضا، ولد ببغداد وتوفى بدمشق، من علماء الحنابلة كان محدثا حافظا فقهيا أصوليا ومؤرخا، أتقن فن الحديث وصار أعرف أهل عصره بالعلل وتتبع الطرق تخرج به غالب أصحابه الحنابلة. من تصانيفه (تقرير القواعد وتحرير الفوائد) المشهور بقواعد ابن رجب فى الفقه، (جامع العلوم والحكم) وهو شرح الأربعين النووية، و(وشرح سنن الترمذى) ومعه (شرح العلل). (انظر: الدرر الكامنة ٢: ٢٢١، وشذرات الذهب ٣: ٣٣٩، ومعجم المؤلفين ٥: ١١٨).

٣ - الآلوسى: هو محمود بن عبد الله، شهاب الدين، أبو الثناء الحسينى الآلوسى. مفسر، محدث، فقيه، أديب، لغوى، مشارك فى بعض العلوم. من أهل بغداد، كان سلفى الاعتقاد مجتهدًا، تقلد الإفتاء ببلده سنة ١٢٤٨ هـ وعزل فانقطع للعلم. من تصانيفه: =

"السنة فى الأصل تقع على ما كان عليه رسول الله - ﷺ -، وما سَنَّهُ أو أمر به من أصول الدين وفروعه حتى الهدْى والسمت ثم خصت فى بعض الإطلاقات بما كان عليه أهل السنة من إثبات الأسماء والصفات[1] خلافًا للجهمية المعطلة النفاة، ومن المعلوم أن أسماء الله تعالى توقيفية لا مجال للعقل فيها، فيجب الوقوف فيها على ما جاء به الكتاب والسُنة، فلا يزاد فيها ولا ينقص؛ لأن العقل لا يمكنه إدراك ما يستحقه تعالى من الأسماء فوجب الوقوف فى ذلك على النص لقوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولًا ﴿٣٦﴾﴾[2]؛ ولأن تسميته تعالى بما لم يسم به نفسه أو إنكار ما سمى به نفسه جناية فى حقه تعالى فوجب سلوك الأدب فى ذلك والاقتصار على ما جاء به النص[3].

وخصت بإثبات القدر ونفى الجبر خلافًا للقدرية النفاة وللقدرية الجبرية العصاة. وتطلق أيضًا على ما كان عليه السلف الصالح فى مسائل الإمامة والتفضيل والكفّ عما شجر بين أصحاب رسول الله ﷺ.

قال ابن حزم: " وأهل السنة أهل الحق، ومن عداهم فأهل البدعة؛ فإنهم الصحابة ـ رضى الله عنهم - ومن سلك نهجهم من خيار التابعين - رحمة الله

=(روح المعانى) فى تفسير القرآن، و(الأجوبة العراقية والأسئلة الإيرانية)، و(الخريدة الغيبية) و(كشف الطرة عن العزة). (انظر: معجم المؤلفين ١٢: ١٧٦، والأعلام ٨: ٥٣).

١ - أخرج البخارى فى كتاب الأذان، ومسلم فى كتاب الإيمان، من حديث أبى هريرة، فى حديث الرجل الذى هو آخر من يدخل الجنة الذى يقول الله فيه: أولست قد أعطيت العهود والمواثيق أن لا تسأل غير الذى أُعطيت؟ فيقول: يارب لا تجعلنى أشقى خلقك، فيضحك الله منه، ثم يأذن له فى دخول الجنة.

٢ - سورة الإسراء: ٣٦.

٣ - محمد بن صالح بن عثيمين (١٩٩٠). القواعد المثلى فى صفات الله وأسمائه الحسنى. القاهرة: مكتبة السنة.

عليهم -، ثم أصحاب الحديث ومن اتبعهم من الفقهاء جيلاً بعد جيل إلى يومنا هذا، ومن اقتدى بهم من العوام فى شرق الأرض وغربها رحمة الله عليهم".

ووصفُهم بأهل السنّة هو كما جاء على لسان ابن تيمية[1]: وإنما سموا أهل السنة لإتباعهم سنته - ﷺ -. ويقول الإسفراييني[2]: "وليس من فرق الأمة أكثر متابعة لأخبار الرسول - ﷺ - من هؤلاء، ولهذا سموا بأهل السنة. ولما سئل الرسول - ﷺ - عن الفرقة الناجية قال: "ما أنا عليه وأصحابى". وهذه الصفة يقررها بعض أهل السنة لهم وحدهم؛ لأنهم ينقلون الأخبار عن الرسول ﷺ - والصحابة رضى الله عنهم. ويقال أيضًا أهل السنة والجماعة، وقد ورد تفسير الجماعة فى بعض الأحاديث بأنها: جماعة المسلمين التى هى على ما كان عليه رسول الله - ﷺ - وأصحابه، كما جاء فى حديث حذيفة بن اليمان - رضى الله عنه - أن رسول الله - ﷺ - قال له: "... تلزم جماعة المسلمين وإمامهم". (رواه البخارى). فبين أن المقصود بالجماعة: جماعة المسلمين، ويقول ابن تيمية

---

١ - ابن تيمية (٦٦١ - ٧٢٨ هـ): هو احمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن تيمية الحرانى الدمشقى. تقى الدين. الإمام شيخ الإسلام. حنبلى. ولد فى حران وانتقل به أبوه إلى دمشق فنبغ واشتهر. فصيح اللسان. مكثرا من التصنيف. سجن بمصر مرتين من أجل فتاواه. توفى بقلعة دمشق معتقلا. من تصانيفه (السياسة الشرعية) و(منهاج السنة)؛ وطبعت (فتاواه) فى الرياض مؤخرا فى ٣٥ مجلدا. (انظر: الأعلام للزركلى ١/ ١٤٠؛ والدرر الكامنة ١/ ١٤٤؛ والبداية والنهاية ١٤/ ١٣٥).

٢ - أبو إسحاق الإسفراييني (- ٤١٨ هـ): هو إبراهيم بن محمد بن إبراهيم بن مهران أبو إسحاق الإسفراييني نسبته إلى (إسفرايين) وهى بلدة بنواحى نيسابور. فقيه وأصولى شافعى. قيل: أنه بلغ رتبة الاجتهاد وكان شيخ أهل خراسان فى زمانه. أقام بالعراق مدة ثم رحل إلى إسفرايين فبنى له بها مدرسة، فلزمها ودرس فيها، وبه تفقه القاضى أبو الطيب الطبرى، وعنه أخذ الكلام والأصول عامة شيوخ نيسابور. ومن تصانيفه: (الجامع فى أصول الدين) خمس مجلدات وتعليقاته فى أصول الفقه. (انظر: طبقات الشافعية لا ابن هداية ص٤٥، وشذرات الذهب ٣/ ٢٠٩، واللباب ١/ ٤٣).

عن أهل السنة والجماعة: "فمن قال بالكتاب والسنة والإجماع كان من أهل السنة والجماعة؛ لأن الجماعة هى الاجتماع وضدها الفرقة. وهم يَزِنُون بهذه الأصول الثلاثة جميع ما عليه الناس من أقوال وأعمال، مما له تعلق بالدين". ومن أهم أصول أهل السنة لزوم الجماعة والاعتصام بحبل الله جميعًا، وعدم التفرق والتنازع. وقد روى البخارى عن علىّ - رضى الله عنه - قال: "اقضوا كما كنتم تقضون؛ فإنى أكره الاختلاف حتى يكون الناس جماعة".

والإيمان عند أهل السنة حقيقة مركبة من القول والعمل. والقول هو تصديق القلب وإقراره ومعرفته وقول اللسان أى النطق بالشهادتين، والمقصود بالعمل هو عمل القلب أى قبوله ومحبته وإخلاصه، وعمل الجوارح وهو سائر ما افترض الله على عباده من أعمال الجوارح. فها هو أبو طالب قد استفاض عنه أنه يعلم بنبوة محمد - ﷺ - وأنشد عنه:

ولقد علمت بأن دين محمد من خير أديان البرية دينا

لكن امتنع من الإقرار بالتوحيد والنبوة حبًا لدين سلفه وكراهة أن يعيره قومه، فلما لم يقترن بعلمه الباطن الحب والانقياد الذى يمنع ما يضاد ذلك من حب الباطل وكراهة الحق لم يكن مؤمنًا[1].

الوهابية: Wahhabism

ظهرت فى القرن الثامن عشر الميلادى بالجزيرة العربية. تُنسب لمحمد بن عبد الوهاب بن سليمان بن على، الذى ولد فى العوينة من بلاد نجد سنة ١١١٦هـ. وقد كانت حالة المسلمين فى زمانه تتسم بالضعف السياسى والعلمى والسلوكى، فقام بدعوته التى آزرها آل سعود حُكام المنطقة. وتأثر بهذه الحركة كثيرون خارج الجزيرة العربية. وأخذت صبغة سياسية إلى جانب الصبغة الدينية.

---

١ - انظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية ٧: ٥٦٠ .

وتقوم دعوتهم على تنقية الدين من الشوائب عقيدة وسلوكًا، غير أن كل دعوة إصلاحية لابد لها من أمرين أساسيين: أولهما العبقرية الفذة التى تخلص الفكر والسلوك من الشوائب على نسق الأئمة السابقين فى بحوثهم الدقيقة. وثانيهما الحكمة البالغة فى التطبيق، ومن مظاهر هذه الحكمة السماحة وعدم التعصب للرأى الاجتهادى. وقد أطلق المتأخرين عليها اسم "السلفية" إما لأن بعض الناس لا يرتاحون إلى التسمية القديمة، وإما لأن بعض مبادئها يقوم على الإيمان بالآيات المتعلقة بصفات الله إيمانا يتمسك بظاهرها دون تأويل لها، وذلك فى مثل الآيات التى تثبت لله اليد والعين والوجه والجلوس على العرش، وما جاء من نصوص نبوية من إثبات الإصبع والرجل والمشى وما إليها، وذلك هو مذهب السلف الذين يقولون فى الآيات المشتبهات ﴿ ... وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللَّهُ ... ﴿٧﴾ ﴾[1] واقفين على هذا المقطع من الآية الكريمة، فهم يثبتون هذه الأشياء لله مفوضين العلم بحقيقتها إلى الله تعالى. ومما أيدوا به مذهبهم بوجه عام قول النبى - ﷺ - "إنما أنا بشر، إذا أمرتكم بشىء من دينكم فخذوا، وإذا أمرتكم بشىء من رأيى فإنما أنا بشر"[2].

وللحركة مجموعة من المبادئ التى جهر بها الشيخ محمد بن عبد الوهاب، يمكن تلخيصها فى الآتى:

١ - التوحيد، والعودة إلى أصول الإسلام الصحيحة.

٢ - الجهاد فى سبيل ذلك، وجواز قتال مانعى الزكاة وتاركى الصلاة.

٣ - ترك زيارة القبور؛ لأن الميت بعد الدفن أحوج إلى الدعاء لا أن يدعى به.

---

١ - آل عمران: ٧ .

٢ - انظر: صحيح مسلم.

٤ - منع اتخاذ التمائم، والتبرك بالشجر والحجر، والذبح لغير الله، والنذر لغير الله، والاستعاذة بغير الله.

وكل ذلك من الأمور الموافقة لمبادئ الإسلام وغير جديدة. أما تجديد الدعوة آنذاك إلى التمسك بها فيعنى أن المجتمع الذى نشأ فيه الشيخ كان قد خرج عليها.

ويذهب بعض الدارسين إلى القول بأن "الوهابية" تتشابه مع ما سبق أن نادى به ابن تيمية فى بلاد الشام قبل ذلك بأربعة قرون، الذى قال: إن الشهادتان وحدها لا تكفيان ما لم يلتزم قائلهما بالشرائع والواجبات، واعترض على المقامات والأنصاب، وعلى زيارة قبور الصالحين. وقد أثارت آراء بن تيمية قلقًا فى نفوس الحكام فى مصر والشام والعراق تحت حكم المماليك، وانتهى أمره بالسجن حتى وفاته. أما الشيخ محمد بن عبد الوهاب فلم يواجه حكومة مركزية، فالجزيرة العربية آنذاك كانت مجموعة من الإمارات المتناثرة، ولا تخضع لسلطة مركزية.

ولقد واجه الشيخ محمد بن عبد الوهاب مصاعب كثيرة فى نشر أفكاره فى حريملاء التى كان بها عند وفاة والده، وفى العيينة التى اضطر أميرها "عثمان بن معمر" إلى إخراجه منها امتثالاً لأمير الإحساء "سليمان بن محمد" الذى هدده بقطع الخراج عنه. وذهب لاجئًا إلى "الدرعية" فى ضيافة الأمير "محمد بن سعود" وسرعان ما تفاهما، وأصبحت الدرعية دار هجرة لأتباع الشيخ. وقبل الشيخ بسلطة الأمير واحتفظ لنفسه بمقام دينى، وهكذا نشأ الإطار السياسى للوهابية. وقد أوفى آل سعود بالعهد لآل الشيخ ولم يتغير تقديرهم لهم على مر السنين، إذ احتل آل الشيخ المراكز الرئيسة فى الإفتاء والتعليم فضلاً عن رابطة النسب فيما بينهم.

وقد كان الأمير عبد العزيز بن محمد آل سعود الحاكم الثانى للدولة السعودية الأولى (١١٥٨ - ١٢٣٣هـ/ ١٧٤٥ - ١٨١٨م) أقرب آل سعود إلى قلب الشيخ، وهو الذى جعل للشيخ المقام الأول فى الدولة. وعلى هذا نشأ تلازم بين الوهابية والسعودية، فبفضل الوهابية أقام آل سعود دولتهم الأولى التى شملت

جبال شمر (١٧٩٠م)، والإحساء (١٧٩١م)، وساحل عمان وقطر والبحرين (١٧٩٩م)، والحجاز وعسير (١٨٠٢م)، وهددت المناطق الجنوبية فى بلاد الشام حتى حوران، والمناطق الجنوبية الشرقية للعراق. وصار التدخل العثمانى أمراً محتومًا فكان ما كان من حملة محمد على باشا والى مصر العثمانى التى حطمت الدرعية، وأخرجت آل سعود من أغلب الحجاز (١٨١١ - ١٨١٨م). ثم أعيدت دولة آل سعود مرة ثانية ثم مرة ثالثة على يد الملك عبد العزيز فى ثلاثينات القرن العشرين[١].

المعتزلة: Isolationists

يقال عزل الشىء يعزله عزلاً، وعزله فاعتزل، وانعزل وتعزل: نحاه جانبًا فتنحى، وقوله تعالى: ﴿إِنَّهُمْ عَنِ السَّمْعِ لَمَعْزُولُونَ ﴿٢١٢﴾﴾[٢] أى لما رموا بالنجوم منعوا من السمع، وقوله تعالى: ﴿وَإِن لَّمْ تُؤْمِنُوا لِي فَاعْتَزِلُونِ ﴿٢١﴾﴾[٣] أى إن لم تؤمنوا بى فلا تكونوا على ولا معى[٤] ومن المؤكد أن الدلالة اللغوية للفظ كانت هى الدلالة السائدة فى عهد رسول الله - ﷺ - اتساقًا مع ما ورد من آيات القرآن الكريم. وظل هذا المفهوم سائداً إلى أن كانت الفتنة التى أعقبت مقتل عثمان - رضى الله عنه - ونشبت الحرب بين معسكر على ومعسكر عائشة - رضى الله عنهما - فيما يسمى بموقعة الجمل، فظهر الاعتزال كموقف سلبى من ناحية عدم وجود نسق فكرى إيجابى من ناحية احترام الدين والالتزام بقواعده، حيث اعتزل كثير من أصحاب رسول الله - ﷺ - الفتنة مثل: الأحنف بن قيس، وعبد الله

---

١ - راجع: عنوان المجد فى تاريخ نجد، عثمان بن بشر، القاهرة ١٣٧٣هـ. كيف كان ظهور شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب (مؤلف مجهول)، حقق المخطوط ونشره عبد الله صالح العثيمين. دار الملك عبد العزيز، الرياض، ١٩٨٣م.

٢ - سورة الشعراء: ٢١٢ .

٣ - سورة الدخان: ٢١ .

٤ - لسان العرب، مادة (عزل).

ابن عباس، وغيرهم كثير، وكانوا فى موقفهم هذا أكثر حرصًا على عدم التورط فى موقف يبعدهم عن جوهر الإسلام.

قال الحافظ بن حجر[1]: إن الطبرى أخرج بسندٍ صحيحٍ عن الأحنف بنِ قيسٍ - رضى الله عنه - قال: لقيت طلحة والزبير بعد حصر عثمان فقلت:

ما تأمرانى فإنى أراه مقتولاً؟ قالا: عليك بعلىّ. ولقيت عائشة بعد قتل عثمان فى مكة فقلت: ما تأمرينى؟ قالت: عليك بعلى[2] وعندما خرج هؤلاء الصحابة إلى معركة الجمل لقيهم الأحنفُ فقال لهم: والله لا أقاتلكم ومعكم أم المؤمنين، ولا أقاتل رجلاً أمرتمونى ببيعته.

ولكن اصطلح على إطلاق اللفظ - المعتزلة - على جماعة تقول بأصول خمسة، ومن لم يقل بها فليس منهم، (التوحيد - العدل - الوعد - الوعيد - المنزلة بين المنزلتين). وهناك رأى يربط بين التسمية بالاعتزال وبين مسلك الزهد والعبادة، وقد تزعم هذا الرأى "جولدتسيهر" و"هورتين"[3].

---

١ - ابن حجر العسقلانى (٧٧٣ ـ٨٥٢ هـ): هو ابن أحمد على بن محمد، شهاب الدين، أبو الفضل الكنانى العسقلانى، المصرى المولد والمنشأ والوفاة، الشهير بابن حجر، نسبة إلى "آل حجر" قوم يسكنون بلاد الجريد وأرضهم "قابس" فى تونس من كبار الشافعية. كان محدثا فقيها مؤرخا. انتهى إلية معرفة الرجال واستحضارهم، ومعرفة العالى والنازل، وعلل الأحاديث وغير ذلك. ارتحل إلى بلاد الشام وغيرها، تصدى لنشر الحديث وقصر نفسه عليه مطالعة وإقراء وتصنيفا وإفتاء، وتفرد بذلك حتى صار إطلاق لفظ الحافظ عليه كلمة إجماع. درس فى عدة أماكن وولى مشيخة البيبرسية ونظرها والإفتاء بدار العدل، والخطابة بجامع الأزهر، وتولى القضاء. زادت تصانيفه على مائة وخمسين مصنفًا. من تصانيفه: (فتح البارى شرح صحيح البخارى) خمسة عشر مجلدًا؛ و(الدراية فى منتخب تخريج أحاديث الهداية)، و(تلخيص الحبير فى تخريج أحاديث الرفاعى الكبير). (انظر: الضوء اللامع ٢/٣٦؛ والبدر الطالع ١/٨٧؛ وشذرات الذهب ٧/ ٢٧٠؛ ومعجم المؤلفين ٢/ ٢٠).

٢ - انظر: فتح البارى، ١٣: ٣٨ .

٣ - سعيد مراد: المعتزلة. مجلة التوحيد (١٤١٨)، العدد الرابع، ص ٥٨.

وهو رأى مردود عليه بأن الزهد والتقشف من السلوكيات التى دعا إليها الإسلام، يقول تعالى: ﴿ ... وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ﴿٣١﴾ ﴾[1] ويقول النبى - ﷺ -: "ازهد فى الدنيا يحبك الله، وازهد فيما فى أيدى الناس يحبوك"[2].

وهناك رأى ثالث يرد التسمية بالاعتزال إلى موقف دينى له أبعاد سياسية وبقضية جدلية أثيرت فى مجلس الحسن البصرى. يقول الشهرستانى: دخل واحد على الحسن البصرى فقال: يا إمام لقد ظهرت فى زماننا جماعة يكفرون أصحاب الكبائر، والكبيرة عندهم كفر يخرج عن الملة، وهم وعيدية الخوارج، وجماعة يرجئون أصحاب الكبائر، والكبيرة عندهم لا تضر مع الإيمان، بل العمل على مذهبهم ليس ركنًا من الإيمان، ولا يضر مع الإيمان معصية، كما لا ينفع مع الكفر طاعة، وهم مرجئة الأمة. فكيف تحكم لنا فى ذلك؟ فتفكر الحسن فى ذلك وقبل أن يجيب قال واصل بن عطاء: أنا لا أقول أن صاحب الكبيرة مؤمن مطلق ولا كافر مطلق، بل هو فى منزلة بين المنزلتين، لا مؤمن ولا كافر، ثم قام واعتزل إلى اسطوانة من اسطوانات المسجد يقرر ما أجاب به على جماعة من أصحاب الحسن، فقال الحسن: اعتزل عنا واصل، فسمى هو وأصحابه المعتزلة.

فعندما قال الخوارج إن مرتكب الكبيرة غير مؤمن؛ لأن إيمانه زال بارتكاب الكبيرة، وافقهم المعتزلة، لكن لما رأوا أن التسوية فى الحكم بين الكافر والمرتد، وبين الزانى والسارق والشارب يستبعده العقل والشرع؛ حيث فرق الله بين حكم كل من هذين فى الدنيا والآخرة، اكتفوا بإزالة اسم الإيمان عنه، ولم يدخلوه فى مسمى الكفر، فابتدعوا ما أسموه: المنزلة بين المنزلتين.

---

١ - سورة الأعراف: ٣١ .

٢ - البخارى: كتاب العلم.

كما أن مقتضى التوحيد عند المعتزلة هو عدم إثبات ما يعرف بصفات المعانى لله تعالى؛ لأن ذلك يوهم التعدد بين الذات الواحدة والصفات المتعددة. فيؤمنون بالله سميعًا بصيرًا عالمًا قادرًا حيًا، لكن لا يقولون إن السمع والبصر والعلم والقدرة والحياة صفات أزلية قديمة متعلقة بذات الله تعالى؛ لأن ذلك معناه أن توجد الصفة خارج نطاق الذات، أو أن تتعدد الذات بتعدد الصفات، أو أن تكون الذات مركبة من جملة من الصفات. وذلك كله لا يصح، وبالتالى فهو سميع بذاته وليس بصفة هى السمع، ومتكلم بذاته وليس بصفة هى الكلام.

ومن ثم فإنهم يأتون إلى آية تثبت كونه سبحانه متكلمًا فيتأولونها بما يوافق نزعتهم كما فى قوله تعالى: ﴿ ... وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ﴿١٦٤﴾ ﴾[1] فيقولون: إن موسى هو المتكلم[2] وليس الله! ومن ثم أوجبوا تأويل الصفات حتى تنسجم مع قوله تعالى: ﴿ ... لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿١١﴾ ﴾(٣).

وكانت المعركة حامية الوطيس بين فريق المعتزلة وجمهور أهل السنة بسبب هذه القضية التى ترتب عليها قول المعتزلة: "إن القرآن مخلوق"، وكانت الطامة فى انحياز السياسة الحاكمة إلى جانب المعتزلة وتبنى أفكارهم إلى درجة اعتقال وتعذيب المخالفين وتهديدهم فى حياتهم[4].

---

١ - سورة النساء: ١٦٤ .

٢ - عن عبد الله بن أحمد قال: سألت أبى عن قوم يقولون: لَمَّا كَلَّمَ الله موسى، لم يتكلم بصوت. فقال أبى: بل تكلم تبارك وتعالى بصوت، وهذه الأحاديث نرويها كما جاءت وحديث بن مسعود: "إذا تكلم الله بالوحى سُمِعَ له صوتٌ كجر السلسلةِ على الصَّفْوَانِ". (صحيح أخرجه البخارى فى كتاب التوحيد)، وبذلك بين الإمام أحمد أن الصوت الذى تكلم به الله ليس هو الصوت المسموع.

٣ - سورة الشورى: ١١ .

٤ - انظر: المدخل إلى التفسير، ص ٢٦١.

وتنكر المعتزلة أن يكون الإمام وسيلة لمعرفة الشريعة؛ لأن الشريعة تُعرف من الكتاب والسنة والإجماع والاجتهاد والقياس، ويقوم دور الإمام عند المعتزلة فى المقام الأول على الموقف السياسى أما صلته بالدين فليس إلا تنفيذ حدود الله أما التحريم والتحليل فيعرف من النص. كما أن الإمام لا يكون بالوراثة ولا ينتمى لطائفة معينة، ويجب أن يكون ورعًا شديدًا وموضع ثقة للمسلمين.

وتتنوع فرق المعتزلة حتى يصعب حصرها، ومن هذه الفرق:

(الواصلية) وهم أتباع واصل بن عطاء الذى سعى بكل جهده إلى نشر مذهبه، فبعث إلى المغرب عبد الله بن الحارث فاستجاب له خلق كثير، وبعث إلى خراسان حفص بن سالم وهناك ناظر جهمًا وأفحمه، وبعث إلى اليمن القاسم بن السعدى، وبعث إلى الجزيرة أيوب، وإلى أرمينية عثمان الطويل.

(الهذيلية): أتباع أبى الهذيل العلاف (١٣٥ - ٢٣٥هـ) أخذ الاعتزال عن عثمان بن خالد عن واصل بن عطاء[١].

(النظامية): أتباع إبراهيم بن يسار النظام، وقد لُقب بالنظام لأنه كان نظامًا للشعر والكلام الموزون، وقد كان قوى الذاكرة، له قدرة على الحوار والجدل[٢].

وقد بلغت المعتزلة قمة مجدها بداية من عصر المأمون (١٩٨ - ٢١٨هـ) ثم عصر أخيه المعتصم (٢١٨ - ٢٢٧هـ) حتى عصر أخيه الواثق (٢٢٧ - ٢٣٢هـ) سواء على المستوى السياسى أو الدينى أو الاجتماعى. ثم بدأ زعماء المعتزلة يكفرون بعضهم، فوجدنا العلاف يؤلف كتابًا يفضح فيه النظام ويهاجمه. وجعفر بن حرب يكتب كتابًا للرد على العلاف. والكعبى يكتب كتابًا يهاجم فيه أستاذه الخياط. وفى وسط هذا المناخ الفكرى نشأت الأشعرية.

---

١ - انظر: الملل والنحل، ج١، ص ٥٧ .

٢ - انظر: ابن المرتضى، فرق وطبقات المعتزلة.

الأشعرية: Ashari

تنسب إلى أبى الحسن الأشعرى على بن إسماعيل الأشعرى (٢٦٠ - ٣٣٠هـ)، تربى فى بيت شيخ المعتزلة أبو على الجبائى، يدرس عليه ويتعلم منه حتى سن الأربعين. فى هذه الفترة ترعرعت أفكاره وسط الجو العقلى الذى يميز المعتزلة، ولسبب ما رجع الأشعرى عن الاعتزال، والرأى السائد هو أن الأشعرى لم تعجبه أصول المعتزلة؛ لأنها تؤدى إلى شك فى الدين.

فعلى سبيل المثال ترى المعتزلة أن الله يفعل بالعباد ما هو أصلح لهم، فقد سأل الأشعرى أستاذه فى أمر ثلاثة أخوة أحدهم براً تقيًا، والثانى كافراً، والثالث صغيراً، فماتوا، كيف حالهم؟ فأجابه الجبائى: الزاهد فى الدرجات، والكافر فى الدركات، والصغير من أهل السلامة. فقال الأشعرى: إن أراد الصغير أن يذهب إلى درجات الزاهد هل يؤذن له؟ فقال: لا؛ يقال له إن أخاك وصل إلى هذه الدرجات بسبب طاعته الكثيرة، وليس لك تلك الطاعات. فقال الأشعرى: فإن قال الصغير التقصير ليس منى، فإنك ما أبقيتنى، ولا أقدرتنى على الطاعة. قال الجبائى: يقول الله: كنت أعلم أنك لو بقيت لعصيت وصرت مستحقًا للعذاب، فراعيت مصلحتك. فقال الأشعرى: فلو قال الكافر يا إله العالمين كما علمت حاله فقد علمت حالى فلم راعيت مصلحته دونى؟ قال الجبائى: إنك مجنون.

لقد نجح الأشعرى فى أن يكون مدرسة كبرى لا تقل فى تأثيرها عن المعتزلة، وأنجبت هذه المدرسة: الباقلانى، والجوينى، والشهرستانى، وفخر الدين الرازى، وغيرهم. ويرى الأشاعرة أن مذهبهم وحده هو المذهب الخالى من كل بدعة وضلالة، فقد أجمعوا على حدوث العالم[1]، خلافًا للقائلين بقدمه، وأقروا

---

١ - خالف الأشاعرة مذهب السلف فى إثبات وجود الله تعالى، ووافقوا الفلاسفة والمتكلمين فى الاستدلال على وجود الله تعالى بقولهم: إن الكون حادث ولا بد له من محدث قديم وأخص صفات القديم مخالفة للحوادث وعدم حلوله فيها ومن مخالفته للحوادث إثبات أنه ليس بجوهر ولا جسم ولا فى جهة ولا فى مكان. وقد رتبوا على ذلك من=

بوجود الله تعالى ووحدانيته وتنزيهه، خلافًا لبعض فرق الباطنية الذين قالوا لا موجود ولا معدوم. وخلافًا للقدرية يرون أن الله وحده هو الخالق وأنه قديم ويوصف بالقدم، وهو سبحانه لا شبيه له خلافًا للمشبهة، ولا يحل فى شىء ولا يحل فيه شىء، وهو ليس فى حيز ولا جهة ولا تصح عليه الحركة والانتقال ولا الجهل ولا الكذب، وهو مرئى فى الآخرة للمؤمنين[1]. والسمة الرئيسة التى يتسم بها الأشاعرة إخضاعهم العقل للدين، فالمسائل التى وجدوا أن العقل يتعارض فيها مع النقل ضحوا بالعقل وأخضعوه لحكم النقل.

والصفات الإلهية ليست هى الله وليست غير الله، وهى تعم الوجود كله فالعلم الإلهى يشمل كل معلوم، والقدرة الإلهية تشمل كل مقدور. وهنا نصل إلى مشكلة جوهرية وهى القضاء والقدر، أى الصلة بين فعل العبد وبين فعل الرب.

والإيمان عند الأشاعرة هو التصديق بالقلب واللسان، وإذا ارتكب الإنسان المسلم معصية فإنه يظل مؤمنًا مخطئًا، ولا يكفر، فالمؤمن مؤمن بإيمانه عاص بمعصيته فاسق بفسقه[2] ويوضح الأشعرى أن من اعتقد الحق فليس بكافر لأن الاعتقاد فى الحق وفى التوبة مناف للكفر، لكن اعتقاده هذا وحده لا يكفى لكى نعده مؤمنًا، فالمرء لا يستحق اسم المؤمن إلا إذا عرف الحق فى حدوث العالم وتوحيد صانعه، وفى صحة النبوة[3].

=الأصول الفاسدة ما لا يدخل تحت حصر مثل: إنكارهم صفات الرضا والغضب والاستواء بشبهة نفى حلول الحوادث فى القديم من أجل الرد على القائلين بقدم العالم، بينما طريقة السلف هى طريقة القرآن الكريم فى الاستدلال على وجود الخالق سبحانه وتعالى.

١ - انظر: فيصل عون، ص ٣٠٥ .

٢ - انظر: الإرشاد للجوينى، ص ٣٩٧ .

٣ - أصول الدين للبغدادى، ص ٢٤٥ .

التوحيد عند الأشاعرة هو نفى التثنية والتعدد بالذات ونفى التبعيض والتركيب والتجزئة، أى نفى الكمية المتصلة والمنفصلة. وفى ذلك يقولون: إن الله واحد فى ذاته لا قسيم له، واحد فى صفاته لا شبيه له، واحد فى أفعاله لا شريك له. ولذلك فسروا الإله بأنه الخالق أو القادر على الاختراع، وأنكروا صفات الوجه واليدين والعين لأنها تدل على التركيب والأجزاء عندهم[١].

يقولون بعدم الأخذ بأحاديث الآحاد فى العقيدة لأنها لا تفيد العلم اليقينى ولا مانع من الاحتجاج بها فى مسائل السمعيات أو فيما لا يعارض القانون العقلى. والمتواتر منها يجب تأويله[٢].

وقد أجازت الأشاعرة أن تكون الإمامة بالنص لو أن الرسول قد ذهب إلى ذلك. أما وقد مات الرسول دون أن يعين من يخلفه فأمر ينبغى أن يبقى شريعة للملمين من بعده، ولهذا فإن مبدأ الشورى والاختيار هو الطريق الوحيد لصحة الإمامة. ويجب أن يكون الإمام معروفًا وظاهرًا لكل الناس، ولا ينبغى أن يكون غائبًا عنا، وأن يكون الإمام قرشيًا من ناحية أمه أو أبيه، وليس بالضرورة أن يكون من أهل البيت. يقول الأشعرى: يجب أن يكون الإمام أفضل أهل زمانه فى شروط الإمامة، ولا تنعقد الإمامة لأحد مع وجود من هو أفضل منه فيها[٣].

الأحمدية (القاديانية): Ahmadiyah

حركة دينية ظهرت بإقليم البنجاب بالهند[٤] فى القرن الثالث عشر الهجرى التاسع عشر الميلادى. تنسب إلى مؤسسها ميرزا غلام أحمد، ويطلق عليها أيضًا

---

١ - الأشاعرة لسفر الحوالى.

٢ - لا يخفى مخالفة هذا لما كان عليه السلف الصالح من أصحاب القرون المفضلة ومن سار على نهجهم حيث كان النبى ﷺ يرسل الرسل فرادى لتبليغ الإسلام كما أرسل معاذًا إلى أهل اليمن، ولقوله ﷺ "نضر الله امرءًا سمع مقالتى فحفظها ووعاها وأداها كما سمعها ..." الحديث، وحديث تحويل القبلة وغير ذلك من الأدلة.

٣ - انظر: الاقتصاد فى الاعتقاد للغزالى، وعلم الكلام ومدارسه لفيصل عون.

٤ - باكستان حاليًا.

القاديانية نسبة إلى قاديان[1] التى ولد فيها مؤسس هذه الحركة عام ١٢٥٢هـ/ ١٨٣٩م، يعدها علماء الأديان والمؤرخون حركة إسلامية؛ لأنها ظهرت فى مجتمع إسلامى وعلى يد مسلم.

يدعى مؤسسها بأن المسيح - عليه السلام - لم يرفع ببدنه إلى السماء، بل بروحه، أما بدنه فمدفون فى الهند، ثم ادعى بأن روح المسيح قد حلت فيه، وأن عودة المسيح التى يؤمن بها المسلمون قد تحققت بحلول روح المسيح فى جسده، كما ادعى أنه المهدى المنتظر، وأنه يتكلم عن الله تعالى، أيضًا ادعى أن اللاهوت قد حل فى جسده، وأن المعجزات قد ظهرت على يديه، فهو رسول من عند الله وأن رسالته لا تتنافى مع كون محمد - ﷺ - خاتم النبيين. ومن آرائه المخالفة للإسلام: إلغاء فريضة الجهاد، وعدم صلاة الأحمدى خلف إمام غير أحمدى، وعدم زواج الأحمدية بغير أحمدى، الحكم بمن لا يؤمن بدعوته بالكفر.

وبعد موت ميرزا فى ١٩٠٨ خلفه فى رئاسة الحركة الحكيم نور الدين، وبعده انقسمت الحركة إلى شعبتين: الأولى تزعمها بشير الدين محمود بن غلام أحمد، وقد حافظ المنتسبون إلى هذه الشعبة على أفكار ميرزا وتشددوا فى تنفيذها حرفيًا. الثانية تزعمها محمد على اللاهورى، ومن معتقداتهم: عدم إنكار إلهامات ميرزا، وعدم تكفير المسلمين الذين لم يؤمنوا بدعوتهم ولكنهم قالوا أنهم فاسقين.

الشيعة: Shiites

تيار من أهم التيارات الفكرية الدينية التى لعبت - ومازالت - دورًا مهمًا على مسرح الفكر الدينى والسياسى، وتعد الشيعة من أقدم الفرق، إذ هم الجماعة الذين شايعوا الإمام على - رضى الله عنه - بعد موت النبى محمد - ﷺ - ونادوا بإمامته.

---

١ - قرية تقع بإقليم البنجاب وتبعد ستين ميلاً عن لاهور.

وقد أطلقت كلمة الشيعة مراداً بها الأتباع والأنصار والأعوان، قال الأزهرى: "والشيعة أنصار الرجل وأتباعه، وكل قوم اجتمعوا على أمر فهم شيعة"[1] وقال الزبيدى: "كل قوم اجتمعوا على أمر فهم شيعة، وكل من عاون إنسانًا وتحزب له فهو شيعة له"[2].

بعد مقتل علىّ - رضى الله عنه - على يد أحد الخوارج[3]، خرج من صفوف المسلمين من يدعى عبد الله بن سبأ[4]، وكان يهوديًا من اليمن، ولكنه تظاهر بالإسلام نفاقًا، وقال: إن رسول الله - ﷺ - حينما خرج إلى تبوك خلف عليًا، وكان على لا يتخلف عن غزوة، فقال على للرسول - ﷺ - أتخلفنى فى النساء والصبيان؟ فأجابه الرسول - ﷺ -: أما ترضى أن تكون منى بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبى بعدى؟ ويوضح عبد الله بن سبأ أن الرسول يريد بذلك

---

١ - تهذيب اللغة ٣: ٦٢ .

٢ - انظر: تاج العروس ٥: ٤٠٣

٣ - عبد الرحمن بن ملجم.

٤ - حاول بعضهم أن ينكر وجود هذه الشخصية من الأصل، منهم رجل يقال له مرتضى العسكرى، فى كتاب له أسماه: "عبد الله بن سبأ وأساطير أخرى"، (ط٣) ١٩٦٨ بغداد. وقد حاول أن يلبس على الناس، فزعم أن طريقته علمية، وأنه جمع الأحاديث والروايات التى ذكرت ابن سبأ وثبتت عنده أنها من طريق سيف بن عُمر، وسيف كذاب فلا وجود إذن لابن سبأ. ونؤكد أن هذا باطل؛ حيث جاء عند بن عساكر من طريق عمار الدهنى عن أبى الطُّوفيل ومن طريق شُعبة عن سلمة عن زيد بن وهب ذكر بن سبأ لما جىء به إلى على وليس من طريق سيف بن عمر. ولأن النوبختى فى كتابه "فرق الشيعة" بعد أن ذكر أقوال بن سبأ قال: وهذه الفرقة تسمى "السبئية" أصحاب عبد الله بن سبأ. وقد توفى النوبختى فى القرن الثالث الهجرى. كما أن كل من أرخ هذه الحقبة من أهل السنة ذكر بن سبأ وأثره فيها، على أنه لم ينكر وجود بن سبأ إلا المتأخرين من كُتّاب الشيعة، وتابعهم عليه كُتّاب السنة الذين يجهلون ما يرمى إليه الشيعة فى إنكارهم لهذه الشيعة. (انظر: عثمان خميس، ٢٠٠٨، حقبة من التاريخ).

أن يوصى لعلى بالخلافة ولكن أبا بكر وعمر وعثمان كانوا مغتصبين للخلافة. وقد سميت الجماعة التى تبعت عبد الله بن سبأ بالسبائية نسبة إليه، وقد رأت هذه الجماعة أن عليًا لم يقتل ولكن شبه له، وأن عليًا حى وسيعود يومًا وسيوحد الأمة بعصاه ويملك الأرض.

تعتقد هذه الفرقة بأن الأئمة آلهة وملائكة وأبناء رسل، وقالوا بتناسخ الأرواح[1]، وإبطال القيامة والبعث والحساب والنار.

وعمومًا تفرقت الشيعة إلى عديد من الفرق يصعب حصرها، وقد يرجع السبب فى افتراقهم إلى اختلاف نظرتهم إلى التشيع، منهم الغالى المتطرف الذى يسبغ على الأئمة هالة من التقديس، وعلى من خالفهم أحط الأوصاف وأشنع السباب بل وإطلاق الكفر عليهم، ومنهم من اتصف بنوع من الاعتدال فلا يرى أن المخالفين لهم كفار وإن كانوا على خطأ. وقد قسمهم الرازى[2] إلى طوائف:

الزيدية، الإمامية، الكيسانية (الغلاة).

وتفترق الزيدية إلى ثلاث طوائف:

(الجارودية) أتباع أبى الجارود، وهم يطعنون فى أبى بكر وعمر. وهم يرتبون الأئمة ابتداء بعلى - رضى الله عنه - ثم ابنه الحسن ثم الحسين، ثم هى شورى بعد ذلك بين أولادهما.

(السليمانية) أتباع سليمان بن جرير، وهم يعظمون أبا بكر وعمر، ويكفرون عثمان.

---

١ - تناسخ الأرواح هو دخول الروح عند رحيلها من الجسد فى جسد آخر، سواء كان جسد إنسان أو حيوان أو غيره، وتكمن الفكرة الرئيسية التى يعتمد عليها مفهوم تناسخ الأرواح فى النزعة الأحيائية البدائية التى تضفى الحياة على كل الأشياء والظواهر التى تسود العالم.

٢ - الرازى، اعتقادات فرق المسلمين والمشركين.

(الصالحية) وهم أتباع الحسين بن صالح، وهم يعظمون أبا بكر وعمر، ويتوقفون فى حق عثمان.

أما الإمامية فهم فرق:

(الأولى): يقولون إن عبد الرحمن بن ملجم لم يقتل عليًا وأن المقتول جنى يرى فى صورة على، وأن على صعد إلى السماء، وأن الرعد صوته والبرق سوطه، وإذا سمعوا صوت البرق قالوا: عليك السلام يا أمير المؤمنين.

(الباقرية): يقولون إن الإمامة بلغت إلى محمد بن على الباقر، وهو لم يمت لكنه غائب.

(الناموسية): يقولون إن جعفر لم يمت لكنه غائب، وهو الإمام.

(العمادية): يقولون إن الإمام بعد جعفر الصادق هو ولده موسى.

(الشمطية): يقولون إن الإمام بعد جعفر الصادق ولده محمد بن جعفر.

(الإسماعيلية): سيأتى الحديث عنها مفصلاً.

(الممطورية): يقولون إن موسى بن جعفر لم يمت بل هو غائب، وقد سموا بهذا لأنهم لما أظهروا هذه المقالة قال لهم قوم: والله ما أنتم إلا كلاب ممطورة[1].

(الجعفرية): نسبة إلى جعفر بن محمد الصادق، يقولون إن الإمامة انتقلت من الحسن العسكرى إلى أخيه جعفر.

أما الغلاة فهم فرق كثيرة منها:

(السبائية): أتباع عبد الله بن سبأ، وكان يزعم أن عليًا هو الله تعالى. وهو أول من أسس التشيع على الغلو فى أهل البيت.

---

١ - أى أنهم كالكلاب المبتلة من غاية ركاكة هذه المقولة.

(الخطابيـة): يزعمـون أن الله تعالى حل فى على، ثم فى الحسن، ثم فى الحسين، ثم فى زين العابدين، ثم فى البـاقر، ثم فى الصادق. وتوجه هؤلاء إلى مكة فى زمن جعفر الصادق وكانوا يعـبدونه، فلما سمع الصادق بذلك فأبلغ ذلك أبا الخطاب - رئيسهم - فزعم أن الله تعالى انفصل عن جعفر وحل فيه، ثم قتل.

(المغيرية): أتباع مغيرة بن سعيـد العجلى، ادعى الإلهية، وتم حرقه بالنفط والنار.

(المفوضـية): قوم يزعمـون أن الله تعالى خلق روح على وأولاده، وفوض إليهم فخلقوا الأرضين والسماوات.

(الغرابية): قالوا: على بمحمد أشبـه من الغراب بالغراب، وقالوا: إن الله تعالـى أرسل جبريـل إلى على، فغلط جـبريل وأدى الرسـالة إلى محـمد لتـأكد المشابهة بين على ومحمد.

(النصيرية): زعيـمهم محـمد بن نصيـر النميرى، ادعـى النبوة، ثم ادعى الإلوهية، يزعمون أن الله تعالى كان يحل فى على فى بعض الأحيان، وفى اليوم الذى قلع على باب خيبر كـان الله تعالى قد حل فيه. يشاركون باقى فـرق الشيعة فى بعض الأعياد، بيـد أن لهم أعيادهم الخاصة التى يحتفلـون بها، ومن أهمها: عيد الغدير: يحتفلون به فى ١٨ من ذى الحجة كل عام، وعيد عاشوراء: يحتفلون به فى العاشر من المحرم كسائر فرق الشيـعة، وهو ذكرى استشهاد الحسين بن على بن أبى طالب - رضى الله عنهما - فى كـربلاء، لكن الشيعة النصيريـة تعتقد أن الحسـين لم يمت بل اختـفى وسيـعود كـعيسى عليـه السلام، وعـيد المهـرجان: ويحتفلون به فى أول الخـريف من كل عام، وعيد النيـروز: ويحتفلون به فى أول الربيع من كل عام. بـالإضافة إلى مـشاركة النصـيريون فى بعض أعيـاد النصارى مثل: عيد الغطاس، وعيد السعف.

(الكيسانية): يتزعمها المختار بن أبى عبيدة الثقفى وكيسان، الذى يقال إنه كان مولى على بن أبى طالب. وقد ذهبت إلى القول بأن محمد بن الحنفية أحق بالإمامة من أخويه الحسن والحسين، وقد ذهبت الكيسانية إلى القول بتجويز البداء على الله، ومن المعلوم أن البداء يعنى أن يخلف الله وعده، ويغير من إرادته، حيث يبدو له فيما بعد أمر فيعيد النظر فيه. وهؤلاء يفترقون فرقًا: (الروندية): أتباع أبى هريرة الروندى، يزعمون أن الإمامة كانت حقًا للعباس. والهاشمية، والكربية، والمختارية، وغيرها كثير.

وبصفة عامة الشيعة لا يؤمنون بأى حديث إلا إذا رواه أحد أهل البيت، أما ما رواه باقى الأئمة فهم ينكرونه، يعتمدون على كتبهم فقط مثل كتاب نهج البلاغة، والكافى وغيرها. لا يعترفون بالإجماع إلا إذا كان من علمائهم، والصلاة بدون صورة كاملة باطلة.

الشيعة الإسماعيلية: Shia Ismaili

إحدى الفرق الشيعية. ويسمون: **السبعية** (لقبوا بهذا الإسم؛ **لأنهم** زعموا أن الرسل الناطقين بالشرائع سبعة، وبين كل اثنين من الرسل سبعة يتممون شريعته، ولابد فى كل عصر من سبعة بهم يهتدى ويقتدى فى الدين)، **الباطنية** (لدعواهم أن لظاهر القرآن باطنًا يجرى من الظاهر مجرى اللب من القشر، واعتقدوا أن من ارتقى إلى علم الباطن انحط عنه التكليف)، **الحشاشون، الفداوية**. ينسبون إلى أحد الغلاة من الشيعة وهو عبد الله بن ميمون القداح الذى يعد المؤسس الحقيقى للفرقة.

والإسماعيلية تتفق مع الشيعة الاثنا عشرية (الإمامية) على صحة إمامة الأئمة الستة ابتداء من على بن أبى طالب إلى جعفر الصادق. لكن الخلاف وقع بين الفرقتين حول أى من أبناء جعفر أحق من أخيه بالإمامة: موسى الكاظم أم إسماعيل. وقد تبع الشيعة الإمامية موسى، وتبع الإسماعيلية إسماعيل، ومن بعده

إبنه محمد بن إسماعيل. وكان لهم اتجاه عقائدى متطرف يباعد بينهم وبين عقائد الشيعة الإمامية. وبدت بوادر هذا الاتجاه المتطرف فى حياة الإمام السادس جعفر الصادق، إذ هاله أن يرى جمعًا من أصحاب الفرق الغالية يلتف حول ابنه إسماعيل، وعد ذلك نذير شؤم. وقد تحققت نبؤة الإمام الصادق، فضمت فرقة الإسماعيلية منذ نشأتها عدداً كبيراً من القيادات المتطرفة فى التشيع، وغدت استمراراً لحركات الغلو فيه، وظهر هذا الغلو فى حركة القرامطة الإسماعيلية.

وتدور عقائد الإسماعيلية حول الإمام، فالدين أمر مكتوم، لا يعرف إلا عن طريق إمام مختار عنده علم التأويل وتفسير ظواهر الأمور والنصوص، فلكل تنزيل تأويل، ولكل ظاهر باطن، وشرائع الإسلام وفرائضه لها معان أخر غير معانيها الظاهرة، لا يقف عليها إلا الإمام ودعاته الكبار المهديون.

لقد جعلوا الإمامة مقدمة على النبوة والرسالة، فيقول أحمد بن إبراهيم النيسابورى[1]: فإنه لما كانت الإمامة هى قطب الدين وأساسه، والتى يدور عليها جميع أمور الدين والدنيا وصلاح الآخرة والأولى، وينتظم بها أمور العباد وعمارة البلاد، وقبول الجزاء فى دار المعاد، وبها يصل إلى معرفة التوحيد والرسالة بالحجة والبرهان، والدلالة إلى معرفة الشريعة وبيانها، قلنا: إن الإمامة هى قطب الدين وأساسه، ولم نقدم الرسالة على الإمامة؛ لأن فى إثبات الإمامة إثبات الرسالة، والمقر بالإمام مقر بالرسول، وليس كل من أقر بالرسول أقر بحقيقة الإمام". ويقول جعفر بن منصور اليمنى: "وقام محمد - ﷺ - بأمره لله وجمع دعاته الماضين وحججهن ونصب من نصب منهم بين يديه وأنه أخذ أُبى بن كعب فجعله نقيبًا من نقبائه، وكان يرفعه على حججه، ويقول لهم: أُبى أقراكم، يعنى أنه كان يقرينى بالعلم والحكمة كما أن أحدكم يقرى ضيفه بالطعام.

والإمام قد يكون مستوراً وقد يكون ظاهراً، فإن كان مستوراً فدعاته ظاهرون، وإن كان ظاهراً فدعاته مستورون يعملون فى خفية عن أعين الرقباء،

---

١ - أحد كبار دعاة الشيعة الإسماعيلية.

وزعموا أن دور الستر - الذى بدأ بمحمد بن إسماعيل - قد انتهى بظهور الإمام عبيد الله المهدى فى بلاد المغرب سنة ٢٩٦هـ التى أقام بها الدولة الفاطمية. وحين دخلت مصر فى قبضة الفاطميين سنة ٣٦٢هـ تزايد طموحهم لبسط سيطرتهم على العالم الإسلامى كله، وتحقق أول نجاح لهم فى المشرق الإسلامى فى عهد المعز لدين الله، حين أقام دعاة الإسماعيلية فى "المُلتان" - حاليًا باكستان - ولكن السلطان محمود الغزنوى قضى على هذه الدولة سنة ٤٠١هـ وفى سنة ٤٨٣هـ استطاع أحد كبار دعاة الفاطميين وهو الحسن بن الصباح أن يؤسس دولة إسماعيلية قوية فى المنطقة الجبلية الواقعة جنوبًا بحر قزوين، وأنشأ منظمة إرهابية أطلقوا على أعضائها اسم الفداوية، وكان نشاطها قائمًا على اغتيال المناوئين، فاغتالوا عددًا من الخلفاء والسلاطين إلى أن قضى عليها المغول بقيادة هولاكو سنة ٦٥٤هـ.

كان الإسماعيلية فى إيران قد قطعوا علاقتهم المذهبية بالخلافة الفاطمية بمصر عقب وفاة المستنصر بالله سنة ٤٧٨هـ وتولى ابنه الأصغر عرش الخلافة، وقالوا إن الابن الأكبر "نزار" هو الأولى بالخلافة، فعرفوا منذ ذلك الحين بالنزارية، واستقلوا عن مذهب التشريع المذهبى بالقاهرة، ومضوا شوطًا بعيدًا فى الأخذ بالتأويل الذى بلغ أقصى درجاته عندهم فى عهد ملكهم الحسن بن محمد، إلى رفع التكاليف الشرعية كلها عن الناس، وإنزال العقوبات الصارمة بمن يواظب على العبادات.

وقد استقرت إمامة الإسماعيلية النزارية فى ملوك "ألموت"[1] Almut حتى

---

١ - ألموت Almut كانت قلعة حصينة على بعد نحو ٣٦٠ كم من بحر قزوين فى فارس (إيران)، اتخذها الحشاشون عاصمة لهم. وقد شيدت هذه القلعة أول مرة عام ٢٤٦هـ / ٨٦٠م. وقد استولى عليها الحسن بن الصباح رئيس فرقة الإسماعيلية سنة ٤٩٣هـ / ١٠٩٠م، وزاد فى تحصينها حتى قيل إنها كانت أمنع قلعة فى آسيا. بلغت ألموت أوج شهرتها عام ٦٥٤هـ / ١٢٥٥م وهو العام الذى اجتاحت فيه جيوش هولاكو المنطقة، حيث أعطى أهالى المدينة فرصة ٣ أيام ليرحلوا، ثم أبيحت وخربت عن آخرها. =

قضى المغـول على آخرهم، ثم إن إمـامهم حـسن على شاه انتـقل إلى بلاد الهند لأسبـاب سياسـية وأصبـحت بومبـاى منذ ذلك الحين مقـراً لإمامـة الإسماعـيلية النزارية. وينتشر الإسـماعيلية فى الوقت الحالى فى مـناطق عديدة من العالم: فى سوريا وإيران وعمان وباكستان، ويكثرون فى الهند وشرق إفريقيا.

الشيعة الاثنا عشرية: Twelver Shiites

هذه هى الواجهة الرئيسـة والوجه البارز للتشيع فى عصرنا الحاضـر، وتعتبر هذه الطائفة أشهر فرق الشيعة وأكثرها انتشاراً فى العالم، وإليها ينتمى أكثر الشيعة فى إيران والعراق وباكستان وغيرها من البلدان التى وصلت إليـها العقيدة الشيعية. والشيعة الاثنا عشرية هم تلك الفـرقة من المسلمين الذين زعموا أن عليًا هو الأحق فى وراثة الخلافـة دون الشيـخين وعثـمان رضى الله عنهم أجـمعـين. وقد أطلق عليهم الإمـامية لأنهم جعلوا من الإمـامة القضية الأسـاسية التى تشغلـهم وسُمُّوا بالاثنا عشرية لأنـهم قالوا باثنى عشر إمامًـا دخل آخرهم السرداب بسامـراء. كما أنهم القسم المقابل لأهل السنة والجماعـة فى فكرهم وآرائهم المتميزة، وهم يعملون لنشر مذهبهم ليعم العالم الإسلامى. والاثنا عشر إمامًا هم:

على بن أبى طالب - رضى الله عنه - والحسن بن على رضـى الله عنهما، ويلقـبونه بالمجتـبى(٣ - ٥٠ هـ)، والحسـين بن على رضى الله عنهـما ويلقـبونه بالشهيد (٤ - ٦١ هـ)، وعلى زين العابـدين بن الحسين (٣٨ - ٩٥ هـ) ويلقبونه بالسجاد، ومحمد الباقـر بن على زين العابدين (٥٧ - ١١٤ هـ) ويلقبونه بالباقر، وجعـفر الصادق بن محـمد الباقـر (٨٣ - ١٤٨هـ) ويلقبونه بالصـادق، وموسى الكاظم بن جعفر الصـادق (١٢٨ - ١٨٣ هـ) ويلقبونه بالكاظم، وعلى الرضا بن موسى الكاظم (١٤٨ - ٢٠٣ هـ) ويلقبونه بالرضى ومحمد الجواد بن على الرضا

=وأحرق هولاكو كل الكتب التى كانت فى مكتبتـها الفاخرة، إلا أنه احتفظ بالكتب التى تناولت تاريخ الإسماعيلية، وبعض نسخ القرآن الكريم.

(١٩٥- ٢٢٠هـ) ويلقبونه بالتقى، وعلى الهادى بن محمد الجواد (٢١٢-٢٥٤هـ) ويلقبونه بالنقى، والحسن العسكرى بن على عبد الهادى (٢٣٢ - ٢٦٠ هـ) ويلقبونه بالزكى، ومحمد المهدى بن الحسن العسكرى (٢٥٦ - . . .) ويلقبونه بالحجة القائم المنتظر.

والإمام محمد بن الحسن العسكرى هو الإمام القائم الغائب المنتظر، وهو موجود منذ أيام أبيه الحسن العسكرى، وهو مستتر بإذن الله، وسيظل كذلك إلى أن يخرج على الملأ بإذن الله أيضًا. ولقد استتر وغاب لكثرة الأعداء من جهة ولقلة أنصاره وشيعته من جهة أخرى، علاوة على أن حكمة الله اقتضت غيبة الإمام الثانى عشر حتى يأذن الله له بالعودة كى يملأ الأرض عدلاً كما ملئت ظلمًا[1].

وفى إطار عدم وجود الإمام تحدث الشيعة عن غيبتين: صغرى وكبرى. وقد قيل عن الغيبة الصغرى أن مدتها ٧٤ عامًا تقريبًا، وأن الإمام غاب عن المسلمين ولكنه لم يغب عن الكل ولم يحتجب عن الخاصة، أما الغيبة الكبرى ففيها انقطعت اتصالات الإمام بخاصته، وذلك لسر يعلمه الله. والشيعة عمومًا ترى أن الإمام ينبغى أن يطاع طاعة عمياء، وأن الخروج عليه خروج على الدين، كما ترى الاثنا عشرية أن يكون الإمام من أهل البيت، ولهذا رفضت إمامة محمد بن الحنفية؛ لأن أمه كانت من غير أهل البيت.

وتؤمن الشيعة الاثنا عشرية بولاية الفقيه الذى يحل محل الإمام، وهو يمثل السلطة التنفيذية وله كل الصلاحيات التى للإمام حتى يتمكن من الحفاظ على سلامة الدولة الإسلامية.

وتعتقد الاثنا عشرية أن لله صفات بها يفعل ما يفعل: يريد بإرادته، يعلم بعلمه، يقدر بقدرته. وخلافًا للمشبهة وتابعًا للمعتزلة ترى أن صفات الله عين

---

١ - انظر: عبد الوهاب الكاشى، فى رحاب محمد وأهل بيته.

ذاته . . . كله علم، كله قدرة، كله حياة . . ليس ثمة ذات وصفات منفصلة عن الذات[1].

القرامطة: Alaqramtp

القرامطة حركة باطنية تنسب إلى حمدان بن الأشعث، ويلقب بقرمط لقصر قامته وساقيه، وهو من خوزستان فى الأهواز ثم رحل إلى الكوفة. وقد اعتمدت هذه الحركة التنظيم السرى العسكرى، وكان ظاهرها التشيع لآل البيت والانتساب إلى محمد بن إسماعيل بن جعفر الصادق وحقيقتها الإلحاد والإباحية وهدم الأخلاق والقضاء على الدولة الإسلامية. وقد تطورت الحركة من خلال شخصياتها الذين كانوا يظهرون الإسلام ويبطنون المجوسية وتركوا أثراً بارزاً على سيرهم وتشكلها عبر مسيرة طويلة من الزمن. فقد بدأ عبد الله بن ميمون القداح بنشر المبادئ الإسماعيلية فى جنوب فارس سنة ٢٦٠هـ، ومن ثم كان له داعية فى العراق اسمه الفرج بن عثمان القاشانى المعروف بذكرويه الذى أخذ يبث الدعوة سراً. وفى سنة ٢٧٨ هـ نهض حمدان قرمط بن الأشعث يبث الدعوة جهراً قرب الكوفة ثم بنى داراً سماها دار الهجرة وقد جعل الصلاة خمسين صلاة فى اليوم.

استخلف ذكرويه أحمد بن القاسم الذى بطش بقوافل التجار والحجاج وهُزم فى حمص وسيق ذكرويه إلى بغداد وتوفى سنة ٢٩٤هـ. قام بالأمر بعده ابنه سليمان بن الحسن بن بهرام ويعرف بأبى طاهر الذى استولى على كثير من بلاد الجزيرة العربية ودام ملكه فيها ٣٠ سنة، ويعتبر مؤسس دولة القرامطة الحقيقى ومنظم دستورها السياسى الاجتماعى، بلغ من سطوته أن دفعت له حكومة بغداد الإتاوة وقد ملك الكوفة أيام المقتدر (٢٩٥ - ٣٢٠هـ) لمدة ستة أيام استحلها فيهم، وهاجم مكة عام ٣١٩هـ، وفتك بالحجاج، وهدم زمزم، وملأ المسجد

---

١ - انظر: فيصل عون، علم الكلام ومدارسه، ص ١٤٢ .

بالقتلى، ونزع الكسوة، وقلع البيت العتيق، واقتلع الحجر الأسود، وسرقه إلى الإحساء، وبقى الحجر هناك عشرين سنة إلى عام ٣٣٩هـ[١].

حينما قام القرامطة بحركتهم أظهروا بعض الأفكار والآراء التى يزعمون أنهم يقاتلون من أجلها، فقد نادوا بأنهم يقاتلون من أجل آل البيت، وإن لم يكن آل البيت قد سلموا من سيوفهم. ثم أسسوا دولة تقوم على شيوع الثروات وعدم احترام الملكية الشخصية، يجعلون الناس شركاء فى النساء بحجة استئصال أسباب المباغضة فلا يجوز لأحد أن يحجب امرأته عن إخوانه وأشاعوا أن ذلك يعمل زيادة الألفة والمحبة. يعتقدون بإبطال القول بالمعاد والعقاب وأن الجنة هى النعيم فى الدنيا والعذاب هو اشتغال أصحاب الشرائع بالصلاة والصيام والحج والجهاد. يدخلون على الناس من جهة ظلم الأمة لعلى بن أبى طالب وقتلهم الحسين. تأثروا بمبادئ الخوارج الكلامية والسياسية ومذاهب الدهرية.

دامت هذه الحركة قرابة قرن من الزمان، وقد بدأت من جنوبى فارس وانتقلت إلى الكوفة والبصرة وامتدت إلى الأحساء والبحرين واليمن وسيطرت على رقعة واسعة من جنوبى الجزيرة العربية والصحراء الوسطى وعمان وخراسان. وقد دخلوا مكة واستباحوها واحتلوا دمشق ووصلوا إلى حمص والسلمية. وقد مضت جيوشهم إلى مصر وعسكرت فى عين شمس قرب القاهرة ثم انحسر سلطانهم وزالت دولتهم وسقط آخر معاقلهم فى الأحساء والبحرين.

الخوارج: Outsiders

طائفة خرجت على الخليفة الذى تمّت بيعته من أهل الحلّ والعقد وتمّت له الإمامة على المسلمين. قال الشهرستانى: كلّ من خرج على الإمام الحقّ الذى اتّفقت الجماعة عليه يُسَمّى خارجيًا سواء كان الخروج فى أيّام الصحابة على الأئمة الراشدين أو من كان بعدهم على التابعين لهم بإحسان والأئمة فى كلّ زمان. وزاد

---

١ - انظر: الملل والنحل، ج١ .

عليه ابن حـزم: ويلحق بهم مَن شايعهم على أفكارهم أو شـاركهم فى آرائهم فى أىّ زمان. وقد ظهرت بوادرها فى زمن رسـول الله - ﷺ - عندما طعن عبد الله ذو الخويصرة التـميمى بقسمـة رسول الله - ﷺ - وقال: هذه قِسمـة ما أُريد بها وجه الله، وقال أيضًا: اعدل يا رسول الله. فقال الصادق الأمين: "ويلك، إن لم أعدل فمن يعـدل؟"، ثمّ قال فيه: يخـرج من ضئضئ هذا قوم تحـقرون صلاتكم إلى صلاتهم وصـيامكم إلى صيـامهم، يمرقـون من الدين كما يمـرق السهم من الرمية... (انظر كامل القصّة فى البخارى ومسلم).

فالخوارج هم أولئك الذين كانوا فى الأصل مُظهـرى التشيع فى نصرة الإمام على ضد معـاوية - رضى الله عنهما - فلما قـبل على التحكيم فى النزاع الواقع بينه وبين معاوية لم يرتض أولئك ذلك فخرجـوا عليه، ولم يقبلوا أن يرجعوا إليه إلا إذا أقر على نفـسه بالكفر لقبـوله التحكيم فى النزاع بينه وبين معـاوية، وقبول التحكيـم - فى رأيهم - يعد من قبـيل إتيان المحظور؛ إذ لا حكم إلا لـله، لقوله تعالى: ﴿إِنِ الْحُكْمُ إِلاَّ لِلَّهِ﴾[1] وقد كـان للخوارج صراعـات حاميـة بين على من ناحية، ثم ضد مـعاوية والأمويين من ناحية أخرى، وقد أنـهكتهم هذه الصراعات المتلاحقة رغم تفانيهم وبطولاتهم النادرة حـتى جاءت الدولة العباسية، ولم يهادنوا العباسـيين على الرغم من خور قواهم وتشـتتهم إلى فرق وأحـزاب، وقد جعلهم الرازى إحدى وعشرين فرقة، نذكرهم باختصار:

(المحكمية): هم الذين قالوا لعلى - رضى الله عنه - لما حكم المحكمين: إن كنت تعلم أنك الإمام حقًـا فلم أمرتنا بالمحاربة، ثم انفصلوا عنه وكـفروا عليًا ومعاوية لهذا السبب.

(الأزارقة): أتبـاع أبى نافع راشـد بن الأزرق، ومن مذهبـهم أن قـتل من خالفهم جائز.

---

١ - سورة الأنعام: ٥٧ وسورة يوسف: ٤٠، ٦٧.

(النجدات): أتباع نجدة بن عامر النخعى، تفردوا بالقول: أن المخطئ بالجهل معذور، وقالوا إن أصحاب الحدود المذنبين منهم غير خارجين من الإيمان، والمذنبين من غيرهم كفار.

(البيهسية): أتباع أبى بيهيس، ومذهبهم أن من لا يعرف الله تعالى وأسماءه وتفاصيل الشريعة فهو كافر.

(العجاردة): أتباع عبد الحكيم بن عجرد، وقد تشعبت هذه الفرقة إلى خمس عشرة فرقة، وعندهم أن سورة يوسف ليست من القرآن؛ لأنها فى شرح العشق ومثل هذا لا يجوز.

(الصلتية): أتباع عثمان بن أبى الصلت، يحكمون بإسلام الأطفال من حين بلوغهم.

(الميمونية): أتباع ميمون بن عمران، يجوزون نكاح بناتهم، لا يرون إلا قتال السلطان خاصة، وأعوانهن ومن رضى بحكمه، ومن طعن فى دينهم.

(الحمزية): أتباع حمزة بن أدرك، يقولون بأن أطفال الكفار فى النار.

(الخلفية): يرون أن الخير والشر من الله تعالى، ويقولون بالجبر.

(الأطرافية): سموا بذلك لقولهم إن من لم يعلم أحكام الشريعة من أصحاب أطراف العالم فهو معذور.

(الشعيبية): أتباع شعيب بن محمد.

(الحازمية): أتباع حازم بن على، يتوقفون فى أمر على، ولكنهم لا يصرحون بتبرئته، ويكفرون عثمان والحكمين.

(الثعلبية): أتباع ثعلب بن عامر، يقولون فى الأطفال أنهم مشتركون فى عقاب آبائهم.

(**الأخنسية**): أتباع أخنس بن قيس، يحرمون القتال ليلاً والاغتيال والقتل فى السر.

(**المعبدية**): أتباع معبد، لا يجيزون كل امرأة تخالف الدين.

(**الرشيدية**): أتباع رشيد الطوسى.

(**المكرمية**): أتباع مكرم بن عبد الله العجلى، يقولون إن تارك الصلاة كافر، ومن أتى كبيرة فقد جهل الله تعالى.

(**المعلومية المجهولية**): المعلومية يقولون: من علم الله ببعض أسمائه فلم يجهله. أما المجهولية يقولون: من لم يعلم الله بجميع أسمائه فهو له جاهل.
(الأصفرية): أتباع زياد بن الأصفر، يقولون: كل ذنب مغلظ كفر وشرك، ويجيزون مناكحة المشركين والمشركات وقبول شهادتهم.

(**الحفصية**): أتباع حفص بن المقدام، وهم فرع من الإباضية، يقولون إن ما بين الكفر والشرك معرفة الله، فمن جهل الله وأنكره فهو مشرك.

(**اليزيدية**): أتباع يزيد بن أنيسة، وهم فرقة من الإباضية.

(**البدعية**): يقولون إن الصلاة ركعتان بالعشى، وركعتان بالغداة، لا غير ذلك.

(**الإباضية**): أتباع عبد الله بن إباض المقاعسى، يرجع نسبه إلى إباض وهى قرية بالعرض من اليمامة، خرجوا على مروان ابن محمد آخر خلفاء بنى أمية فى أوائل القرن الثانى من الهجرة، فوجه إليهم عبد الله بن محمد فقاتلهم، يجمعون على أن مخالفيهم من المسلمين كفار وليسوا من المشركين، وما هم بمؤمنين كما يقول أهل السنة، مناكحتهم جائزة، وموارثتهم حلال وغنيمة أموالهم من السلاح والكراع عند الحرب حلال وما سواه حرام. يقول الشهرستانى: يذكر أن أصحاب عبد الله بن إباض يقولون بقوله فى مخالفيهم: "حرام قتلهم وسبيهم فى السر غيلة إلا بعد نصب القتال وإقامة الحجة". ينفون عن أنفسهم نسبتهم إلى الخوارج،

إذ يعدون مذهبهم اجتهاديًا فقهيًا سنيًا يقف جنبًا إلى جنب مع الشافعية والمالكية والحنفية والحنبلية. لكنهم يتفقون مع الخوارج فى مسائل عديدة منها: أن عبد الله بن إباض يعتبر نفسه امتداداً للمحكمة الأولى من الخوارج، كما يتفقون مع الخوارج فى تعطيل الصفات والقول بخلق القرآن وتجويز الخروج على أئمة الجور. من آرائهم الدعوة إلى تنزيه الخالق تنزيهًا مطلقًا، وما جاء فى القرآن والسنة مما يوهم التشبيه فإنهم يؤولونه بما يفيد المعنى ولا يؤدى إلى التشبيه، لا يقولون برؤية الله تعالى فى الآخرة، القرآن لديهم مخلوق، يقولون أن الشخص لا يخرج من الإيمان إلا ويدخل فى الكفر، أى لا منزلة بين المنزلتين، لا يوجبون الخروج على الإمام الجائر ولا يمنعونه. قالوا فى مرتكبى الكبائر أنهم موحدون لا مؤمنون، وقالوا من ارتكب كبيرة من الكبائر كفر كفر النعمة لا كفر الملة. والإباضية فرق شتى مختلفون فى مذهبهم هذا[1].

وللخوارج بشكل عام رأى خاص فى تكفير مرتكب الكبيرة الذى فسق بكبيرته، وخرج عن طاعة ربه بفعلته، ويستدلون على ذلك بآيات كثيرة منها قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ۝٢﴾[2].

المرجئة: Protracted

سميت بهذه التسمية؛ لأن مؤسسيها يرجئون - أى يؤخرون - العمل على النية فى الرتبة والاعتقاد. فالإرجاء هو التأجيل والتأخير. يعتقدون أنه لا تضر مع الإيمان معصية، كما لا تنفع مع الكفر طاعة. وقالوا: إن الله قد أرجأ تعذيبهم عن المعاصى أى أخره عنهم. كذلك يذكرون أن الإيمان قول بلا عمل؛ لأنهم يقدمون القول ويؤخرون العمل، ويحتجون بقول الله تعالى:

---

١ - راجع دائرة معارف القرن العشرين، مادة (إبض).

٢ - سورة التغابن: ٢ .

﴿وَآخَرُونَ مُرْجَوْنَ لِأَمْرِ اللَّهِ إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (١٠٦)﴾[1] وعلى ضوء ذلك فإن هذه التسمية ترد إلى أمر دينى خالص يتعلق بالثواب والعقاب والجنة والنار[2].

وإلى جانب العامل الدينى نضع معه العامل السياسى، خاصة وأن الدين فى تلك الفترة من فجر الإسلام مرتبطًا بالسياسة ارتباطًا وثيقًا؛ لأن السلطة الدينية كانت هى بعينها السلطة السياسية، وعلى ذلك فإن المرجئة قد نشأت أيضًا باعتبارها حزبًا سياسيًا ثالثًا مستقلاً قام مع الحزبين الآخرين: الشيعة والخوارج[3]. وترى المرجئة أن الإمام من قريش، لكنها تنكر أن يكون الله ورسوله قد نصا على أنها من سلالة معينة أو أنها بالوراثة، فالإمامة ينبغى أن تكون شورى بين خيار الأمة وفضلائها.

لقد كان ظهور المرجئة فى وقت الفتنة والاضطراب الكبير الذى عم البلاد، حيث برز الإرجاء نتيجة المجادلات المستمرة بين الفرق، لاسيما بين الخوارج وغيرهم، وكانت الفتنة من أسباب التسرع فى الرد وقدح الرأى، إذ لم يكن المجال ميسوراً للسؤال والتأكد والأمور هائجة والأحداث متلاحقة[4].

---

١ - سورة التوبة: ١٠٦

٢ - فيصل عون (٢٠٠٨). علم الكلام ومدارسه، ص ١٩٩.

٣ - إن الإرجاء من حيث هو موقف نفسى يمكن أن يوجد فى هذه الفتنة العمياء وما تلاها، كما يمكن أن ينشأ فى أى قضية مماثلة، فإن من سنن الاجتماع أن أى نزاع يشجر بين طائفتين قد يفرز فئة ثالثة محايدة، إن جدلية الحياة هى القانون الرئيسى لكل حياة. وبحسب هذه الجدلية تمضى الحياة فى تطورها من الشىء إلى نقيض الشىء. فالشىء يخلق نقيضه وينشب الصراع بين هذين النقيضين ويحتدم، قبل أن يتمخض صراع النقيضين عن ائتلاف جديد لن يلبث حتى يتمخض عن نقيضه وحتى ينشب بينهما الصراع. (انظر: صلاح مخيمر، ١٩٨٦ ومحمد غالب، ٢٠٠٩).

٤ - انظر: سفر الحوالى، ظاهرة الإرجاء فى الفكر الإسلامى، ص ٣٧١.

وقد اختلف العلماء فى أول من أسس هذا المذهب فقيل هو: ذر بن عبد الله الهمدانى، وهو تابعى متعبد، ويبدو أنه قد عرضت له شبهة وكان شاكًا فيها، ثم جزم بها وأصر عليها لما لاقت رواجًا، عن الحسن بن عبيد الله قال: سمعت إبراهيم النخعى يقول لذر: ويحك يا ذر ما هذا الدين الذى جئت به؟ قال ذر:

ما هو إلا رأى رأيته. وقد تعرض لنقد العلماء المعاصرين فذمه النخعى وكان لا يرد عليه إذا سلم. وقيل أول من أحدث هذا الأمر هو "قيس الماصر" من أهل الكوفة[1]، وقيل حماد بن أبى سليمان (ت ١٢٠هـ) شيخ أبى حنيفة وتلميذ النخعى[2]، والخلاف بينهم غير مؤثر فكلهم متعاصرون، وكلهم فى بلد واحد، وقولهم فى الإرجاء واحد. وقيل الجهم بن صفوان، وهو من شواذ المبتدعة فى مطلع القرن الثانى، والجهم هذا لم يبتدع مذهبه فى الإيمان اعتمادًا على شبهة نقلية أو أثارة من علم، وإنما كان رجلاً لسنًا مجادلاً، مجبولاً على المحادة والاعتراض والمراء، ومع ذلك لم يجلس إلى عالم أو يتفقه على إمام، بل شهد عليه بعض من عاصره بالجهل فى الأحكام الشرعية. وقد جالس أصحاب الأهواء وبعض الملاحدة وعلى رأسهم شيخه الجعد بن درهم الذى قتله الوالى الأموى خالد بن عبد الله القسرى بسبب إنكاره الصفات.

ويؤكد المرجئة على أن الإيمان ليس له علاقة بالعمل، وأن العمل ليس من الإيمان، وأن تركه بالكلية لا ينفى الإيمان بالكلية، ويستدلون على ذلك بالحديث المروى عن أبى سعيد الخدرى قال: سمعت رسول الله - ﷺ - يقول: من زعم أن الإيمان يزيد وينقص، فزيادته نفاق ونقصانه كفر، فإن تابوا وإلا فاضربوا أعناقهم بالسيف، أولئك أعداء الرحمن، فارقوا دين الله، وانتحلوا الكفر، وخاضوا فى الله، طهر الله الأرض منهم، ألا ولا صلاة لهم، ألا ولا صوم لهم،

---

١ - تهذيب التهذيب، ٧: ٤٨٩ .

٢ - انظر: الإيمان لابن تيمية، ص ٢٨٠ .

ألا ولا زكـاة لهم، ألا ولا حج لهم، ألا ولا بر لهم، هم براء من رسـول الله - ﷺ - ورسول الله براء منهم[1].

والمرجئة شأنها شأن الفرق الأخرى تضم فرقًا أهمها:

(اليونسية): أتباع يونس بن عون النميـرى، وقد أكدت على أن الإيمان هو المعرفة بالله والخضوع له والمحـبة بالقلب، فمن توافرت فيه هذه الصفات مـجتمعة فهو مؤمن صادق، وأن المؤمن يدخل الجنة بإخلاصه ومحبته لا بعمله وطاعته.

(العبيدية): أتباع عبيد المكتتب، وهى الفرقة الثانية من فرق المرجئة، تقول: إن علم الله عين ذاته، واعتقدت أن الله مـشابه للإنسان الذى خلقه على صورته، وأن العبد إذا مات موحدًا فلم يصـاب بأذى فى الآخرة على الآثام التى اقترفها فى حياته.

(الغسـانية): أتباع غسـان الكوفى، تقول أن الله فرض الحج ولا ندرى أين الكعبة، ولعلهـا بغير مكة، ولقد بعث الله مـحمدًا ولا ندرى أهو الذى بالمدينة أم بغيرها، ومقصودهم بهذه الأمور أنها ليست داخلة فى حقيقة الإيمان.

(الثـوبانيـة): أتبـاع أبى ثوبان المرجئ، تقـول إن الإيمان هو الإقـرار بالله ورسوله، وبكل مالا يجـوز فى العقل فعله، وأما من جاز فعله فليـس الاعتقاد به

---

١ - انظر كتاب الإيمان فى كل كتب الموضوعات. قـام بوضع هذا الحديث محمد بن القاسم الطايكانى، قـال عنه بن حبان: يأتى من الأخـبار ما تشـهد الأمة على بـطلانها. انظر: المجروحين لابن حـبان. يقول الإمام البـخارى: "لقيت أكثـر من ألف رجل من العلماء بالأمصار، فـما رأيت أن أحدًا منهم يختلف فى أن الإيمـان قول وعمل، يزيد وينقص" (فتح البارى، ١: ٤٧). وفى القـرآن الكريم يقول تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَنزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَّعَ إِيمَانِهِمْ وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٤﴾﴾ [الفتح: ٤]، ويقول تـعالى: ﴿وَإِذَا مَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ إِيمَانًا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿١٢٤﴾﴾ [التوبة: ١٢٤].

من الإيمان، كما أن القدر خيره وشره من العبد ولا دخل لله فيه، بالإضافة إلى أن الإمامة ليست بالنص بل تجوز لأى إنسان مؤمن.

(الثومانية): أتباع أبو معاذ الثومنى يرى أن الإيمان هو المعرفة والتصديق والمحبة والإخلاص لله والإقرار بما جاء به رسول الله، وأن من ترك ذلك أو آمن ببعضه وترك البعض الآخر فهو كافر.

(الشمرية): أتباع أبى شمر المرجئى القدرى، يقول البغدادى: وهذه الفرقة عند أهل السنة أكفر أصناف المرجئة؛ لأنها جمعت بين الإرجاء والقدر.

(النجارية): أتباع الحسين بن محمد النجار، يوافقون أهل السنة فى بعض أقوالهم مثل: خلق الأفعال، والاستطاعة، والإرادة، ويوافقون القدرية فى بعض الأصول مثل: نفى الرؤية، وأن كلام الله مخلوق. وقالوا أن الإيمان يزيد ولا ينقص، وقد تفرع عن هذه الفرقة ثلاث فرق أخرى: البرغوثية، المستدركة، الزعفرانية.

(الغيلانية): أتباع غيلان الدمشقى، يقولون أن الإيمان بالله عن نظر واستدلال، وأن الإيمان لا يحتمل الزيادة والنقصان.

(الشبيبية): أتباع محمد بن شبيب، يقولون أن الإيمان هو الإقرار بالله والمعرفة بأنه ليس كمثله شيء، يقولون أن الإيمان يتبعض ويتفاضل أهله، وأن الخصلة من الإيمان قد تكون طاعة وبعض إيمان، ويكون صاحبها كافراً بترك بعض الإيمان.

(الكرامية): أتباع أبى عبد الله محمد بن كرام، وقد انقسمت فيما بينها إلى فرق مثل: **الإسحاقية، الهيصمية، المهاجرية، العابدية، الزرينية، الحيدية، التونية**. يقولون أن المنافقين الذين كانوا على عهد رسول الله - ﷺ - كانوا مؤمنين على الحقيقة، يعتقدون أن الله تعالى جسم وجوهر ومحل للحوادث، ويثبتون له جهة ومكانًا، يقولون أن الله تعالى مستو على العرش استواء ماديًا. يقولون فى الإمامة

أن عليًا ومعاوية كانا إمامين محقين فى وقت واحد، يقولون أن الصلاة جائزة فى أرض نجسة، وزعموا أن الطهارة من النجاسة ليست واجبة، وأن غسل الميت ليس بواجب.

الماتريدية: Almatridip

فرقة كلامية، تنسب إلى أبى منصور الماتريدى، قامت على استخدام البراهين والدلائل العقلية والكلامية فى محاججة خصومها من المعتزلة والجهمية وغيرهم، لإثبات حقائق الدين والعقيدة الإسلامية. لم تعرف بهذا الاسم إلا بعد وفاة مؤسسها، وقد اتسمت مرحلة التأسيس بشدة المناظرات مع المعتزلة وصاحب هذه المرحلة هو أبو منصور الماتريدى: (ت ٣٣٣هـ)، نسبة إلى (ماتريد) وهى محلة قرب سمرقند فيما وراء النهر، ولد بها ولا يعرف على وجه اليقين تاريخ مولده، أو كيف نشأ وتعلم، ولم يذكروا من شيوخه إلا العدد القليل مثل: نصير بن يحيى البلخى، وقيل نصر وتلقى عنه علوم الفقه الحنفى وعلوم المتكلمين.

قال عبد الله المرائى فى كتاب الفتح المبين فى طبقات الأصوليين: "كان أبو منصور قوى الحجة، فحمًا فى الخصومة، دافع عن عقائد المسلمين، ورد شبهات الملحدين . . ". وقال عنه الشيخ أبو الحسن الندوى فى كتاب رجال الفكر والدعوة "جهبذ من جهابذة الفكر الإنسانى، امتاز بالذكاء والنبوغ وحذق الفنون العلمية المختلفة". عاصر أبا الحسن الأشعرى، وعاش الملحمة بين أهل الحديث وأهل الكلام من المعتزلة وغيرهم. فكانت له جولاته ضد المعتزلة وغيرهم، ولكن بمنهاج غير منهاج الأشعرى، وإن التقيا فى كثير من النتائج غير أن المصادر التاريخية لا تثبت لهما لقاء أو مراسلات بينهما، أو اطلاع على كتب بعضها.

توفى عام ٣٣٣هـ ودفن بسمرقند، وله مؤلفات كثيرة فى أصول الفقه والتفسير ومن أشهرها: تأويلات أهل السنة أو تأويلات القرآن وفيه نصوص القرآن الكريم، ولا سيما آيات الصفات، فأولها تأويلات جهمية. ومن أشهر كتبه فى

علم الكلام كتاب التوحيد وفيه قرر نظرياته الكلامية، وبين معتقده فى أهم المسائل الاعتقادية. يقصد بالتوحيد: توحيد الخالقية والربوبية، وشىء من توحيد الأسماء والصفات، ولكن على طريقة الجهمية بتعطيل كثير من الصفات بحجة التنزيه ونفى التشبيه، مخالفًا طريقة السلف الصالح. كما ينسب إليه شرح كتاب الفقه الأكبر للإمام أبى حنيفة، وله فى الردود على المعتزلة رد الأصول الخمسة وأيضًا فى الرد على الروافض رد كتاب الإمامة لبعض الروافض، وفى الرد على القرامطة الرد على فروع القرامطة[1].

ثم جاءت مرحلة تلاميذ الماتريدى ومن تأثر به من بعده، وفيها عملوا على نشر أفكار شيخهم وإمامهم، ودافعوا عنها، وصنفوا التصانيف متبعين مذهب الإمام أبى حنيفة فى الفروع (الأحكام)، فراجت العقيدة الماتريدية فى تلك البلاد أكثر من غيرها. ومن أشهر أصحاب هذه المرحلة: أبو القاسم إسحاق بن محمد بن إسماعيل الحكيم السمرقندى (٣٤٢هـ) عرف بأبى القاسم الحكيم لكثرة حكمه ومواعظه، وأبو محمد عبد الكريم بن موسى بن عيسى البزدوى (٣٩٠هـ).

ثم كانت مرحلة التوسع والانتشار (٧٠٠ - ١٣٠٠هـ)، وتعد من أهم مراحل الماتريدية حيث بلغت أوج توسعها وانتشارها فى هذه المرحلة؛ وما ذلك إلا لمناصرة سلاطين الدولة العثمانية، فكان سلطان الماتريدية يتسع حسب اتساع سلطان الدولة العثمانية، فانتشرت فى شرق الأرض وغربها، وبلاد العرب، والعجم، والهند والترك، وفارس، والروم. وبرز فيها أمثال: الكمال بن الهمام صاحب المسايرة فى العقائد المنجية فى الآخرة، والذى ما زال يدرس فى بعض الجامعات الإسلامية. وفى هذا الدور كثرت فيها تأليف الكتب الكلامية من: المتون، والشروح على الشروح، والحواشى على شروح.

وهناك مدارس مازالت تتبنى الدعوة للماتريدية فى شبه القارة الهندية أهمها: مدرسة الكوثرى وتنسب للشيخ محمد زاهد الكوثرى الجركسى الحنفى الماتريدى

١ - راجع الماتريدية، دراسة وتقويمًا. أحمد عوض الله الحربى. الرياض: دار العاصمة.

(١٣٧١هـ) ويظهر فيها شدة الطعن فى أئمة الإسلام ولعنهم، وجعلهم مجسمة ومشبهة، وجعل كتب السلف ككتب: التوحيد، الإبانة، الشريعة، والصفات، والعلو، وغيرها كتب أئمة السنة كتب وثنية وتجسيم وتشبيه، كما يظهر فيها أيضًا شدة الدعوة إلى البدع الشركية وللتصوف من تعظيم القبور والمقبورين تحت ستار التوسل.

قسم الماتريدية أصول الدين حسب التلقى إلى: الإلهيات (العقليات): وهى ما يستقل العقل بإثباتها والنقل تابع له، وتشمل أبواب التوحيد والصفات. الشرعيات (السمعيات): وهى الأمور التى يجزم العقل بإمكانها ثبوتًا ونفيًا، ولا طريق للعقل إليها مثل: النبوات، وعذاب القبر، وأمور الآخرة، علماً بأن بعضهم جعل النبوات من قبيل العقليات[1]. أحاديث الآحاد[2] عندهم تفيد الظن، ولا

---

١ - لا يخفى ما فى هذا من مخالفة لمنهج أهل السنة والجماعة حيث أن القرآن والسنة وإجماع الصحابة هم مصادر التلقى عندهم، فضلاً عن مخالفتهم فى بدعة تقسيم أصول الدين إلى: عقليات وسمعيات، والتى قامت على فكرة باطلة أصلها الفلاسفة من أن نصوص الدين متعارضة مع العقل، فعملوا على التوسط بين العقل والنقل، مما اضطرهم إلى إقحام العقل فى غير مجالات بحثه؛ فخرجوا بأحكام باطلة تصطدم مع الشرع ألجأتهم إلى التأويل والتفويض، بينما لا منافاة عند أهل السنة والجماعة بين العقل الصريح والنقل الصحيح.

٢ - الحديث الآحاد: هو الذى رواه عن رسول الله - ﷺ - عدد لا يتحقق به التواتر. أو هو ما لم يجمع شروط المتواتر. فسواء كان الراوى واحدًا أو اثنين أو ثلاثة أو أربعة أو غير ذلك من الأعداد التى لا يبلغ النقلة فى الكثرة حد التواتر فيحكم على الحديث بأنه خبر آحاد. وينقسم إلى: مشهور - عزيز - غريب. وحديث الآحاد ظنى الثبوت ويفيد العلم النظرى الذى يتوقف على النظر والاستدلال، ولا يفيد العلم اليقينى، وهذا عند كثير من العلماء، ففيه المقبول والمردود وما يتوقف فيه . . ويرى بن حزم فى كتابه "الإحكام" وغيره أنه يفيد القطع لا الظن ويوجب العلم والعمل، حكى ذلك أيضًا رواية عن مالك فإذا كان الحديث صحيحًا كان قطعى الثبوت ولو كان خبر آحاد. وقد اتفق جمهور المسلمين من الصحابة والتابعين وغيرهم على وجوب العمل بخبر الواحد وأنه=

تفيد العلم اليقينى، ولا يعمل بها فى الأحكام الشرعية مطلقًا، بل وفق قواعدهم وأصولهم التى قرروها، وأما فى العقائد فإنه لا يحتج بها، ولا تثبت بها عقيدة، وإن اشتملت على جميع الشروط المذكورة فى أصول الفقه، وإن كانت ظاهرة فظاهرها غير مراد، وهذا موقف الماتريدية قديمًا وحديثًا؛ حتى أن الكوثرى ومن وافقه طعنوا فى كتب السنة بما فيها الصحيحين، وفى عقيدة أئمة السنة مثل: حماد بن سلمة راوى أحاديث الصفات، والإمام الدارمى عثمان بن سعيد صاحب السنن. وهذا مخالف لفعل النبى ﷺ، حيث كان يبعث الرسل إلى الملوك والرؤساء فرادى يدعونهم إلى الإسلام. وكذلك فإن تقسيم ما ورد عن النبى ﷺ إلى متواتر وآحاد لم يكن معروفًا فى عصر الصحابة والتابعين.

ومفهوم التوحيد عند الماتريدية هو: إثبات أن الله تعالى واحد فى ذاته، لا قسيم له، ولا جزء له، واحد فى صفاته، لا شبيه له، واحد فى أفعاله، لا يشاركه أحد فى إيجاد المصنوعات، ولذلك بذلوا غاية جهدهم فى إثبات هذا النوع من التوحيد باعتبار أن الإله عندهم هو: القادر على الاختراع. مستخدمين فى ذلك الأدلة والمقاييس العقلية والفلسفية التى أحدثها المعتزلة والجهمية، مثل دليل

=حجة ويفيد الظن، يقول تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ ۝٦﴾ [الحجرات: ٦] والنبأ هو الخبر، وهو نكرة فى سياق الشرط فيعم كل خبر، ويدخل فيه الخبر الذى يتعلق بالرسول - ﷺ - وقد أوجب الله تعالى التثبيت فيه لوجود الفسق. فإذا انتفى هذا السبب بأن كان المخبر ثقة عدلاً قُبل الخبر. يقول تعالى: ﴿وَجَاءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ يَسْعَىٰ قَالَ يَا مُوسَىٰ إِنَّ الْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ ۝٢٠﴾ [القصص: ٢٠]، ففى هذه الآية قبل موسى خبر الناصح وزكى الله هذا العمل من موسى عليه السلام. وعن عبد الله بن عمر رضى الله عنه قال: "بينا بقباء فى صلاة الصبح إذ جاءهم آت فقال إن رسول الله ﷺ قد أُنزل عليه الليلة قرآن وقد أُمر أن يستقبل الكعبة فاستقبلوا، وكانت وجوههم إلى الشام فاستداروا إلى الكعبة" (متفق عليه) وهنا صحابة رسول الله ﷺ قبلوا خبرًا عظيمًا من واحد واستداروا إلى الكعبة.

حدوث الجواهر والأعراض، وهى أدلة طعن فيها السلف والأئمة وأتباعهم وأساطين الكلام والفلسفة وبينوا أن الطرق التى دل عليها القرآن أصح. بين ذلك أبو الحسن الأشعرى فى رسالته إلى أهل الثغر، وابن رشد الحفيد فى مناهج الأدلة. وشيخ الإسلام ابن تيمية فى درء تعارض العقل والنقل. وأيضًا خالفوا أهل السنة والجماعة بتسويتهم بين توحيد الربوبية وتوحيد الإلوهية، فالإله عند أهل السنة: المألوه المعبود الذى يستحق العبادة وحده لا شريك له، وما أرسلت الرسل إلا لتقرير ذلك الأمر، ودعوة البشرية إلى توحيد الله تعالى فى ربوبيته، وألوهيته، وأسمائه وصفاته. الإيمان عندهم التصديق بالقلب فقط، وأضاف بعضهم الإقرار باللسان، ومنعوا زيادته ونقصانه، وأن الإسلام والإيمان مترادفان، لا فرق بينهما، فوافقوا المرجئة فى ذلك، وخالفوا أهل السنة والجماعة[1].

البهائية: Bahais

تنسب إلى حسين على المازندرانى، الذى سمى نفسه بهاء الله، والبهائية Bahais فرقة تمثل ديانة مستقلة وإن تسمت بالإسلام فى مبدأ أمرها. يقوم المذهب البهائى على الاعتقاد الذى قرره البهاء حسين على المازندرانى (١٢٣٣ - ١٣٠٩هـ، ١٨١٧ - ١٨٩٢م) وهو أن الله ليس له أسماء ولا صفات ولا أفعال وأن أسماءه وصفاته وأفعاله رموز لمظاهره من البشر، وأخرهم وأكملهم هو الذى ظهر فى مؤتمر بدشت ميرزا حسين المازندرانى الملقب باسم بهاء الله.

ويزعم أصحابها بأن الوجود المطلق لله لا يتحقق بالأسماء والصفات التى وصف بها نفسه فى كتبه، وخصوصًا فى القرآن الكريم، بل زعموا أن وجوده يحتاج إلى من يظهر أمره ويبشر بمظهره الأبهى الذى اعتقدوا أنه بهاء الله. يقول دعاة هذا المذهب: إن عيسى عليه السلام الذى أشرق على الدنيا يمثل مقام

---

١ - انظر: أصول الدين للبزدوى، وتاريخ التراث العربى لفؤاد سزكين، موسوعة أعلام الفكر الإسلامى.

الروح، ومقامه فى السماء الرابعة، على حين أن النبى محمداً - ﷺ - يمثل مقام العقل ومقامه فى السماء الخامسة، إلا أن نقطة البيان - كما يزعمون - هى سيدنا الأعلى المقدس (الباب) فإنه أعلى من ذلك؛ لأن مقامه فى السماء السادسة وهى مقام العشق. أما بهاء الله الذى تتجمع فيه كل المظاهر والتجليات - على حد زعمهم - فإن مقامه فى السماء السابعة بطريق التجلى الكامل لمعالم الغيب والذات الإلهية التى يعجز العقل عن إدراكها. وهذا يعنى أنه الله. (تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً). ويعود تاريخ البهائية إلى سنة ١٢٦٠هـ حين أعلن الباب دعوته، والباب عند البهائية هو الشخص الذى يكون واسطة بينهم وبين الإمام الثانى عشر محمد بن الحسن العسكرى الذى وُلد سنة ٢٥٥هـ وغاب الغيبة الصغرى سنة ٢٦٠هـ، ويعتقدون أنه المهدى المنتظر ويتوقعون عودته.

وقد تعاون "حسين على المازندرانى" مع الروس وعملائهم عندما كان فى إيران، وعندما انتقل إلى تركيا ثم فلسطين أخذ فى التعاون مع المؤسسات اليهودية العالمية والاستعمار الانجليزى. وعندما وجد أن أخاه يزاحمه على زعامة الحركة بعد هلاك الباب هم بقتله، وبعد أن هلك الباب ادعى البهاء أنه خليفة القائم (الباب)، ثم ادعى أنه القائم نفسه، ثم ادعى أن القائم (الباب) كان ممهداً له، ثم انتحل مقام النبوة، وأخيراً ادعى الإلوهية. وكان يغطى وجهه بقناع موهمًا من يلقاه أن بهاء الله يعلوه. وله عدة رسائل بالعربية والفارسية مثل: الألواح، الإشراقات، الهيكل، الكلمات الفردوسية، العهد، وأشهر كتبه: الكتاب الأقدس، والذى جاء فى مقدمته أنه نسخ أحكام الشرائع السابقة التى استنفدت أغراضها، وأضحت عائقًا يحول دون تحقيق وحدة البشر وإعادة بناء المجتمع الإنسانى وفقًا لما يقتضيه تغير الزمان وما تتطلبه احتياجات العصر.

من عقائدهم أنهم يعبدون البهاء، ويتوجهون إلى قبره بالعبادة، والقبلة كانت فى حياة البهاء إلى قصره، وبعد موته إلى قبره، والصوم ١٩ يومًا، وللرجل أن يتزوج بامرأتين، ولم يحرم من النساء إلا الأم فقط.

البابية: Casement

نسبة إلى الباب. وقد ادعى على محمد الشيرازى أنه باب الإمام الغائب الذى تنتظره طوائف الشيعة، وأنه باب مظهر الحقيقة الإلهية. توفى أبوه وهو صغير، كفله خاله، ورحل به إلى "بوشهر"، اهتم بقراءة كتب التصوف والنجوم، وبدت عليه بوادر تدل على عدم الاتزان النفسى والعقلى، فكان يصعد إلى سطح المنزل ويجلس فى الحر الشديد عارى الرأس لفترات طويلة مغمغمًا ببعض الأوراد، واستمر هذه الحال حتى أُصيب بنوبات هستيرية[1]، وعندما زاد اضطرابه بعث به خاله إلى كربلاء أملاً فى شفائه، وهناك لاحظ تلامذة الرشتى انطوائه، فذهبوا به إلى مجلس الرشتى فوجد فيه بغيته، فأخذ يقلده، وفى حلقات الرشتى تلقفه جاسوس روسى فعقد معه أواصر الصداقة والمودة، ثم أوحى الروسى إليه أنه هو القائم الذى يبشر به الرشتى، وفى مجس الرشتى سئل عن المهدى أين هو؟ فأجاب أنا لا أدرى وقد يكون معنا فى المجلس، فتلقف هذا الروسى هذه الإجابة، وأخذ يلقى شباكه على الشيرازى ليصنع منه ذلك الموعود.

وللبابية تعاليم تتناول العقائد والعبادات خرجوا فيها على الإسلام، وخالفوا ما جاء فى الكتاب والسنة، فهم يرون أن الله يحل فى البشر، وأن الباب نفسه أكمل مظهر بشرى للحقيقة الإلهية، لا يؤمنون بالبعث ولا الجنة ولا النار، والقيامة عندهم قيام الروح الإلهى فى مظهر بشرى جديد، والقبلة هى بيت الباب أو سجنه أو البيوت التى عاش فيها، ويصح للرجل أن يطلق زوجته تسع عشرة طلقة.

---

١ - مرض نفسى متشعب الأعراض والمظاهر ومتعدد الأنواع مثل: الهستيريا التحولية، والإغماء الهستيرى، والتجوال النومى، والتجوال اللاشعورى، والشخصية المتعددة. والمريض الهستيرى قد يكابد أعراض نوع واحد أو أكثر من أنواع الهستيريا، وعلى مستويات مختلفة من الشدة مضافًا إليها بعض الأعراض العامة للهستيريا مثل اضطراب الذاكرة، أو شدة القابلية للإيحاء، أو سرعة تقلب المزاج والقلق، أو اضطراب بعض الوظائف النفسية (انظر: فرج طه وآخرون، ١٩٩٣: ٨٢٦).

الدروز: Druze

هى فرقة باطنية تؤلّه الخليفة الفاطمى الحاكم بأمر الله، أخذت جُل عقائدها من الإسماعيلية، وهى تنتسب إلى نشتكين الدرزى، نشأت فى مصر لكنها لم تلبث أن هاجرت إلى الشام، عقائدها خليط من عدة أديان وأفكار، كما أنها تؤمن بسرية أفكارها، فلا تنشرها على الناس، ولا تعلمها لأبنائها إلا إذا بلغوا سن الأربعين.

المؤسس الفعلى لهذه العقيدة هو: حمزة بن على بن محمد الزوزنى وهو الذى أعلن سنة ٤٠٨هـ أن روح الإله قد حلت فى الحاكم ودعا إلى ذلك وألف كتب العقائد الدرزية. ومحمد بن إسماعيل الدرزى: المعروف بنشتكين، كان مع حمزة فى تأسيس عقائد الدروز إلا أنه تسرع فى إعلان إلوهية الحاكم سنة ٤٠٧ هـ مما أغضب حمزة عليه وأثار الناس ضده حيث فر إلى الشام وهناك دعا إلى مذهبه، وظهرت الفرقة الدرزية التى ارتبطت باسمه على الرغم من أنهم يلعنونه لأنه خرج عن تعاليم حمزة الذى دبر لقتله سنة ٤١١ هـ.

ثم جاء بهاء الدين أبو الحسن على بن أحمد السموقى المعروف بالضيف وكان له أكبر الأثر فى انتشار المذهب وقت غياب حمزة سنة ٤١١هـ. وقد ألف كثيراً من نشراتهم مثل: رسالة التنبيه والتأنيب والتوبيخ ورسالة التعنيف والتهجين وغيرها. وهو الذى أغلق باب الاجتهاد فى المذهب حرصاً على بقاء الأصول التى وضعها هو وحمزة والتميمى. ومن الزعماء المعاصرين لهذه الفرقة: كمال جنبلاط: زعيم سياسى لبنانى أسس الحزب التقدمى الاشتراكى وقتل سنة ١٩٧٧م. ثم وليد جنبلاط: وهو خليفة والده فى زعامة الدروز وقيادة الحزب.

يعتقدون بإلوهية الحاكم بأمر الله، ولما مات قالوا بغيبته وانه سيرجع، وينكرون الأنبياء والرسل جميعًا ويلقبونهم بالأبالسة. ويبغضون جميع أهل الديانات الأخرى والمسلمين منهم بخاصة ويستبيحون دماءهم وأموالهم وغشهم عند المقدرة. ويعتقدون بأن ديانتهم نسخت كل ما قبلها وينكرون جميع أحكام

وعبادات الإسلام وأصوله كلها. يقولون بتناسخ الأرواح وأن الثواب والعقاب يكون بانتقال الروح من جسد صاحبها إلى جسد أسعد أو أشقى، ينكرون الجنة والنار والثواب والعقاب الأخرويين. ينكرون القرآن الكريم ويقولون إنه من وضع سلمان الفارسى ولهم مصحف خاص بهم يسمى المنفرد بذاته.

يبدأ التاريخ عندهم من سنة ٤٠٨هـ وهى السنة التى أعلن فيها حمزة إلوهية الحاكم. يعتقدون أن القيامة هى رجوع الحاكم الذى سيقودهم إلى هدم الكعبة وسحق المسلمين والنصارى فى جميع أنحاء الأرض وأنهم سيحكمون العالم إلى الأبد ويفرضون الجزية والذل على المسلمين.

يحرمون التزاوج مع غيرهم والصدقة عليهم ومساعدتهم كما يمنعون التعدد وإرجاع المطلقة، ويحرمون البنات من الميراث، ولا يعترفون بحرمة الأخت والأخ من الرضاعة .

لهم رسائل مقدسة تسمى رسائل الحكمة وعددها ١١١ رسالة وهى من تأليف حمزة وبهاء الدين والتميمى. وكتاب النقاط والدوائر وينسب إلى حمزة بن على ويذهب بعض المؤرخين فى نسبته إلى عبد الغفار تقى الدين البعقلى الذى قتل سنة ٩٠٠ هـ. وميثاق ولى الزمان: كتبه حمزة بن على، وهو الذى يؤخذ على الدرزى حين يعرف بعقيدته. والنقض الخفى: وهو الذى نقض فيه حمزة الشرائع كلها وخاصة أركان الإسلام الخمسة.

الصوفية: Sufism

التصوف حركة دينية انتشرت فى العالم الإسلامى فى القرن الثالث الهجرى كنزعات فردية تدعو إلى الزهد وشدة العبادة كرد فعل مضاد للانغماس فى الترف الحضارى، والجدل الكلامى. وكان لهذه الظاهرة معلمان أساسيان هما: العبادة والزهادة.

فالعبادة أصل فى التقرب إلى الله ومناجاته فى الخلوات وصولاً إلى مرضاته؛ لأن كثرة النوافل وسيلة للفوز بالحب الإلهى . . "ولا يزال عبدى يتقرب إلى بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذى يسمع به وبصره الذى يبصر به ويده التى يبطش بها ورجله التى يمشى بها . . وإن سألنى أعطيته، ولئن استعاذنى لأعيذنه . . "[1].

أما الزهادة فهى الأصل فى قمع شهوات النفس، وسبيل تزهيدها فيما بأيدى الناس، وعدم الافتتان بزهرة الحياة الدنيا، يقول تعالى: ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ (١٣١)﴾[2] مع الأخذ بسلوك الغربة النفسية[3] لحديث ابن عمر "كن فى الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل" لما فى ذلك من تربية للنفس وتزكيتها[4].

ثم تطورت تلك النزعات بعد ذلك حتى صارت طرق مميزة معروفة باسم الصوفية، ويتوخى المتصوفة تربية النفس والسمو بها بغية الوصول إلى معرفة الله

---

١ - البخارى كتاب الرقاق.

٢ - سورة طه: ١٣١ .

٣ - الاغتراب النفسى هو انفصال الإنسان عن وجوده الإنسانى، وحينما تزداد حدة ما يشعر به الفرد من اغتراب وانفصال عن نفسه فإن حياته النفسية تختل ومعاييره تهتز، وتظهر عليه الأعراض المصاحبة للاغتراب، والتى يتمثل بعضها فى الشعور بالوحدة أو ما يسمى بالعزلة الاجتماعية Social isolation أى الالتصاق بالذات والانفصال عن الآخرين والشعور بعدم الانتماء عن مجتمعه. كما يشعر الفرد أيضًا بأن الحياة لا معنى لها، وأنها تسير وفق منطق غير معقول، ومن ثم يشعر المغترب أن حياته عبث لا جدوى منه، فيفقد واقعيته ويحيا نهبًا لمشاعر اللامبالاة والفراغ الوجودى. (للمزيد إرجع للدراسة الرائعة التى قام بها الدكتور محمد إبراهيم عيد، ١٩٩٠، الاغتراب النفسى. الصادرة عن مؤسسة الرسالة الدولية للإعلان).

٤ - انظر: المدخل، ص٢٩٦ .

تعالى بالكشف والمشاهدة لا عن طريق اتباع الوسائل الشرعية، ولذا جنحوا فى المسار حتى تداخلت طريقتهم مع الفلسفات الوثنية: الهندية والفارسية واليونانية المختلفة، فخالطها مزيج من مقولات باطلة تسربت إليها بعد الإمام "الجنيد" تلميذ الحارث المحاسبى، والذى يعد رأس هذه الطائفة، وإن كانت إرهاصات هذا المزيج قد ظهرت بوادرها فى شطحات شيخه أبى اليزيد البسطامى، لكنها تنامت حين أعلن "الحلاج" تلميذ الجنيد نظرية الحلول والاتحاد.

وعن اسم الصوفية يقول القشيرى: ولا يشهد لهذا الاسم اشتقاق من جهة العربية ولا قياس، والظاهر أنه لقب، ومن قال اشتقاقه من الصفاء أو من الصُّفَّة فبعيد من جهة القياس اللغوى، وكذلك من الصوف؛ لأنهم لم يختصوا بلبسه. ثم يوضح ابن خلدون فيقول: والأظهر إن قيل بالاشتقاق أنه من الصوف، وهم فى الغالب مختصون بلبسه، لما كانوا عليه من مخالفة الناس فى لبس فاخر الثياب إلى لبس الصوف"[1]. إن كلمة الصوفية مأخوذة من كلمة يونانية (صوفيا) ومعناها الحكمة. وقيل إنه نسبة إلى لبس الصوف - وهذا هو المعنى الأقرب للصحة - لأن لبس الصوف كان علامة على الزهد. ويقال إن ذلك تشبها بالمسيح عيسى بن مريم عليه السلام[2].

---

١ - انظر: مقدمة ابن خلدون، ص ٩٨٩ .

٢ - خلال القرنين الأولين ابتداءً من عهد رسول الله - ﷺ - وخلفائه الراشدين حتى وفاة الحسن البصرى، لم تعرف الصوفية سواء كان باسمها أو برسمها وسلوكها، بل كانت التسمية الجامعة: المسلمين، المؤمنين، أو التسميات الخاصة مثل: الصحابى، أصحاب النبيعة، التابعى. لم يعرف ذلك العهد هذا الغلو العملى التعبدى أو العلمى الاعتقادى إلا بعض النزعات الفردية نحو التشديد على النفس الذى نهاهم عنه النبى - ﷺ - فى أكثر من مناسبة، ومنها قوله - ﷺ - للرهط الذين سألوا عن عبادته ﷺ: "لكنى أصوم وأفطر، وأقوم وأنام، وأتزوج النساء، وآكل اللحم، فمن رغب عن سنتى فليس منى". وهكذا كان عهد الصحابة والتابعين وتابعيهم على هذا المنهج يسيرون، يجمعون بين العلم والعمل، والعبادة والسعى على النفس والعيال، وبين العبادة والجهاد، والتصدى=

يقول ابن تيمية: "فى أواخر عصر التابعين حدث ثلاثة أشياء: الرأى، والكلام، والتصوف، فكان جمهور الرأى فى الكوفة، وكان جمهور الكلام والتصوف فى البصرة، فإنه بعد موت الحسن وابن سيرين ظهر عمرو بن عبيد وواصل بن عطاء وظهر أحمد بن على الهجيمى[1] وبنى دويرة للصوفية وهى أول ما بنى فى الإسلام (أى دار خاصة للالتقاء على ذكر أو سماع) وصار لهم من التعبد المحدث طريق يتمسكون به، مع تمسكهم بغالب التعبد المشروع، وصار لهم حال من السماع والصوت، وكان أهل المدينة أقرب من هؤلاء فى القول والعمل، وأما الشاميون فكان غالبهم مجاهدين"[2].

وقد تطور مفهوم الزهد فى الكوفة والبصرة فى القرن الثانى للهجرة على أيدى كبار الزهاد أمثال: إبراهيم بن ادهم، مالك بن دينار، وبشر الحافى، ورابعة العدوية، وعبد الواحد بن زيد، إلى مفهوم لم يكن موجوداً عند الزهاد السابقين من تعذيب للنفس بترك الطعام، وتحريم تناول اللحوم، والسياحة فى البرارى والصحارى، وترك الزواج. يقول مالك بن دينار: "لا يبلغ الرجل منزلة الصديقين حتى يترك زوجته كأنها أرملة، ويأوى إلى مزابل الكلاب". وذلك دون سند من قدوة سابقة أو نص كتاب أو سنة. وفى الكوفة أخذ معضد بن يزيد العجلى هو وقبيله يروِّضون أنفسهم على هجر النوم وإقامة الصلاة، حتى سلك سبيلهم

=للبدع والأهواء مثلما تصدى ابن مسعود رضى الله عنه لبدعة الذكر الجماعى بمسجد الكوفة وقضى عليها، وتصديه لأصحاب معضد بن يزيد العجلى لما اتخذوا دوراً خاصة للعبادة فى بعض الجبال وردهم عن ذلك.

١ - كان تلميذ شيخ البصرة عبد الواحد بن زيد، وكان يتكلم فى القدر، وقف داراً بالبصرة لمتعبدين. قال الدارقطنى: متروك الحديث، قال الذهبى: ما كان يدرى الحديث، ولكنه عبد صالح وقع فى القدر نعوذ بالله من ترهات الصوفية. توفى سنة ٢٠٠هـ (انظر: سير أعلام النبلاء ٩/٤٠٨).

٢ - الفتاوى، ١٠: ٣٥٩ .

مجمـوعة من زهاد الكوفة، فأخـذوا يخرجون إلى الجبال للانقطاع لـلعبادة، على الرغم من إنكار ابن مسعود عليهم.

وفى القرنين الثـالث والرابع الهجرى ظهرت ثلاث طـبقات[1] من المنتسبين إلى التصوف وهى:

الطبـقـة الأولى: تكتل التيـار الذى اشـتهـر بالصـدق فى الزهد إلى حـد الوساوس، والبعد عن الدنيا والانحراف فى الـسلوك والعبادة على وجه يخالف ما كان عليه الصدر الأول من الرسول - ﷺ - وصحابته بل وعن عباد القرن السابق له، ولكنه كان يغلب عـلى أكثرهم الاستـقامة فى العـقيدة، والإكثـار من دعاوى التزام السنة ونهج السلف، وإن كان ورد عن بعضهم ـ مثل الجنيد ـ بعض العبارات التى عدها العلمـاء من الشطحات، ومن أشهـر رموز هذا التيـار: الجنيد: هو أبو القاسم الخراز المـتوفى ٢٩٨هـ يلقبه الصوفـية بسيد الطائفـة، ولذلك يعد من أهم الشخصيات التى يعـتمد المتصوفة على أقواله وآرائه وبخاصة فى التـوحيد والمعرفة والمحبـة. وقد تأثر بآراء ذى النون النوبى، فـهذبهـا، وجمعـها ونشـرها من بعده تلمـيذه الشبلـى، ولكنه خالف طريقـة ذى النون والحلاج والبـسطامى فى الفناء، حيث كـان يؤثر الصحـو على السكر وينكر الشطحـات ويؤثر البقـاء على الفناء، فللفناء عنده معنى آخر، وقد أنكر على المتصوفة سقوط التكاليف. وقد تأثر الجنيد بأسـتاذه الحـارث المحاسـبى والذى يعد أول من خـلط الكلام بالتصـوف. وهناك آخرون تشملهم هذه الطبقة أمثال: أبو سليـمان الدارنى عبد الرحمن بن أحمد بن عطية العنى ت٢٠٥هـ، وأحـمد بن الحوارى، والحسـن بن منصور بن إبراهيم أبو على الشطوى الصوفى وقـد روى عنه البخارى فى صحيـحه، والسرى بن المغلس السقطى أبو الحـسن ت٢٥٣هـ، سهل بن عبـد الله التسترى ت٢٧٣هـ، مـعروف الكرخى أبو محفوظ ٤١٢هـ محمـد بن الحسن الأزدى السلمى، محمد بن الحسن ابن الفضل بن العباس أبو يعلى البصرى الصوفى ٣٦٨هـ شيخ الخطيب البغدادى.

---

١ - انظر: حقيقة التصوف فى ضوء الكتاب والسنة للمدخلى.

ومن أهم السمات الأخرى لهذه الطبقة: بداية التمييز عن جمهور المسلمين والعلماء، وظهور مصطلحات تدل على ذلك بشكل مهد لظهور الطرق من بعد، مثل قول بعضهم: علمنا، مذهبنا، طريقنا، قال الجنيد: "علمنا مشتبك مع حديث رسول الله ﷺ"، وهو انتساب محرم شرعًا حيث يفضى إلى البدعة والمعصية بل وإلى الشرك أيضًا، وقد اشترطوا على من يريد السير معهم فى طريقتهم أن يخرج من ماله، وأن يقل من غذائه وأن يترك الزواج مادام فى سلوكه. كما كثر الاهتمام بالوعظ والقصص مع قلة العلم والفقه والتحذير من تحصيلهما فى الوقت الذى اقتدى أكثرهم بسلوكيات رهبان ونساك أهل الكتاب حيث حدث الالتقاء ببعضهم، مما زاد فى البعد عن سمت الصحابة وأئمة التابعين. ونتج عن ذلك اتخاذ دور للعبادة غير المساجد، يلتقون فيها للاستماع للقصائد الزهدية أو قصائد ظاهرها الغزل بقصد مدح النبى - ﷺ - مما سبب العداء الشديد بينهم وبين الفقهاء، كما ظهرت فيهم ادعاءات الكشف والخوارق وبعض المقولات الكلامية. وفى هذه الفترة ظهرت لهم تصانيف كثيرة فى مثل: كتب أبو طالب المكى قوت القلوب وحلية الأولياء لأبى نعيم الأصبهانى، وكتب الحارث المحاسبى. وقد حذر العلماء الأوائل من هذه الكتب لاشتمالها على الأحاديث الموضوعة والمنكرة، واشتمالها على الإسرائيليات وأقوال أهل الكتاب. سئل الإمام أبو زرعة عن هذه الكتب فقيل له: فى هذه عبرة؟ قال: من لم يكن له فى كتاب الله عز وجل عبرة فليس له فى هذه الكتب عبرة.

الطبقة الثانية: خلطت الزهد بعبارات الباطنية، وانتقل فيها الزهد من الممارسة العملية والسلوك التطبيقى إلى مستوى التأمل التجريدى والكلام النظرى، ولذلك ظهر فى كلامهم مصطلحات: الوحدة، والفناء، والاتحاد، والحلول، والسكر، والصحو، والكشف، والبقاء، والمريد، والعارف، والأحوال، والمقامات، وشاع بينهم التفرقة بين الشريعة والحقيقة، وتسمية أنفسهم أرباب الحقائق وأهل الباطن، وسموا غيرهم من الفقهاء أهل الظاهر والرسوم مما زاد

العداء بينهما، وغير ذلك مما كان غير معروف عند السلف الصالح من أصحاب القرون المفضلة ولا عند الطبقة الأولى من المنتسبين إلى الصوفية، مما زاد فى انحرافها، فكانت بحق تمثل البداية الفعلية لما صار عليه تيار التصوف حتى الآن. ومن أهم أعلام هذه الطبقة: أبو اليزيد البسطامى ت٢٦٣هـ، ذو النون المصرى ت٢٤٥هـ، الحلاج ت٣٠٩هـ، أبو سعيد الخزار ٢٨٦هـ، الحكيم الترمذى ت٣٢٠هـ، أبو بكر الشبلى ٣٣٤هـ.

الطبقة الثالثة: وفيها اختلط التصوف بالفلسفة اليونانية، وظهرت أفكار الحلول والاتحاد ووحدة الوجود، على أن الموجود الحق هو الله وما عداه فإنها صور زائفة وأوهام وخيالات موافقة لقول الفلاسفة، كما أثرت فى ظهور نظريات الفيض والإشراق على يد الغزالى والسهروردى. وبذلك تعد هذه الطبقة من أخطر الطبقات والمراحل التى مر بها التصوف والتى تعدت مرحلة البدع العملية إلى البدع العلمية التى بها يخرج التصوف عن الإسلام بالكلية. ومن أشهر رموز هذه الطبقة: الحلاج ت٣٠٩هـ، السهروردى ٥٨٧هـ، ابن عربى ت٦٣٨هـ، ابن الفارض ٦٣٢هـ، ابن سبعين ت ٦٦٧ هـ[1].

وقد جعلت الصوفية أهم شعائرها زيارة القبور، وبناء الأضرحة، والطواف بها والتبرك بأحجارها والاستغاثة بأصحابها، ولذلك زعموا أن قبر معروف الكرخى هو الترياق المجرب. وكذلك إقامة المساجد على قبور الصالحين وتقديسها وتعظيمها، رغم ما ورد عن النبى - ﷺ - من التغليظ فى النهى عن ذلك، على أنهم لم يقفوا عند حد إقامتها وإنما عظموا المشاهد التى فيها إلى حد الشرك، حيث يطوفون بقبورهم، ويتمسحون بها، ويشدون الرحال إليها.

كما جعل الصوفيون من سموهم الأولياء متصرفين فى الكون أعلاه وأسفله، ويعلمون الغيب كله، ولذلك اخترعوا ديوانًا للأقطاب والأوتاد والأبدال

---

١ - انظر: الصوفية والوجه الآخر لجميل غازى.

ليدير شئون الكون من خلال قراراته، يقول أحمد بن مبارك السلجماوس المغربى فى وصف الديوان الباطنى الصوفى: "سمعت الشيخ (هو عبد العزيز الدباغ الذى يدعى علم الأولين والآخرين) رضى الله عنه يقول: الديوان يكون بغار حراء الذى كان يتحنث فيه الرسول - ﷺ - قبل البعثة. قال رضى الله عنه: فيجلس الغوث خارج الغار، ومكة خلف كتفه الأيمن، والمدينة أمام ركبته اليسرى، وأربعة أقطاب عن يمينه، وهم مالكية على مذهب مالك بن أنس - رضى الله عنه - وثلاثة أقطاب عن يساره، واحد من كل مذهب من المذاهب الأخرى، والوكيل أمامه، ويسمى قاضى الديوان، وهو فى هذا الوقت مالكى أيضًا من بنى خالد القباطنى بناحية البصرة واسمه سيدى أحمد بن عبد الكريم البصراوى، ومن الوكيل يتكلم الغوث، ولذلك يسمى وكيلاً؛ لأنه ينوب فى الكلام عن جميع من فى الديوان. والتصرف للأقطاب السبعة على أمر الغوث، وكل واحد من الأقطاب السبعة تحته عدد مخصوص يتصرفون تحته، والصفوف الستة من وراء الوكيل، وتكون دائرتها من القطب الرابع الذى على اليسار من الأقطاب الثلاثة، فالأقطاب السبعة هم أطراف الدائرة، وهذا هو الصف الأول وخالطه الصف الثانى على صفته وعلى دائرته، هكذا الصف الثالث. ثم زعم أن النبى - ﷺ - يحضر الديوان: فإذا حضر جلس فى موضع الغوث، وجلس الغوث فى موضع الوكيل، ثم ادعى أن ساعة انعقاد الديوان هى الساعة التى ولد فيها النبى - ﷺ - لأنها ساعة استجابة"[1].

ومثلها مثل بقية الفرق تفرقت الصوفية إلى فرق أخرى كثيرة، وغالبًا ما تسمى الطريقة باسم مؤسسها، وأحيانًا تسمى باسم خاص (كالختمية) مثلاً، و(الزوامة) نسبة إلى الزم؛ لأن ذكرهم بالزوم، وهى كلمة عامية مصرية معناها إخراج صوت معروف من الأنف والفم مغلق.

---

١ - انظر: معاوية هيكل، الصوفية والشيعة والعدوان على الشريعة. مجلة التوحيد، عدد ٤٢٦.

نذكر منها على سبيل المثال:

الطريقة الختمية: طريقة صوفية، تلتقى مع الطرق الصوفية الأخرى فى كثير من المعتقدات، مثل: الغلوّ فى شخص الرسول ﷺ، وادعاء لقياه وأخذ تعاليمهم وأورادهم وأذكارهم التى تميزوا بها، عنه مباشرة. هذا إلى جانب ارتباط الطريقة بالفكر والمعتقد الشيعىّ وأخذهم من أدب الشيعة وجدالهم، ومحاولة المعاصرين منهم ربط الطائفة بالحركة الشيعيَّة المعاصرة.

الطريقة التيجانية: فرقة صوفية يؤمن أصحابها بجملة الأفكار والمعتقدات الصوفية، ويزيدون عليها الاعتقاد بإمكانية مقابلة النبى - ﷺ -، مقابلة مادية واللقاء به لقاءً حسيًّا فى هذه الدنيا، وأن النبى - ﷺ - قد خصهم بصلاة (الفاتح لما أُغلق) التى تحتل لديهم مكانة عظيمة.

الطريقة الرفاعية: تنسب إلى "أبى العباس أحمد بن سلطان على الرفاعى"، ويصل أتباعه نسبه إلى موسى الكاظم بن جعفر الصادق إلى على بن أبى طالب رضى الله عنه.

الطريقة الشاذلية: طريقة صوفية تنسب إلى "أبى الحسن الشاذلى"، يؤمن أصحابها بجملة الأفكار والمعتقدات الصوفية، وإن كانت تختلف عنها فى سلوك المريد وطريقة تربيته بالإضافة إلى اشتهارهم بالذكر المفرد "الله" أو مضمرًا "هو".

الطريقة الفاسية: تنسب إلى أسرة "الفاسى" نسبة إلى "فاس" بالمغرب، وتنسب إلى الحسن بن على بن أبى طالب رضى الله عنهما.. واستوطنت هذه الأسرة مكة، وكان أفرادها يتبعون الطريقة الشاذلية وينتسبون إليه، حتى أوجد أحدهم الطريقة الفاسية المنتسبة كذلك إلى الشاذلية، فيسمون أنفسهم بالشاذلية الفاسية.

الطريقة الميلوية: أنشأها الشاعر الفارسى "جلال الدين الرومى"، المتوفى سنة (٦٧٢هـ)، أصحابها يتميزون بإدخال الرقص والإيقاعات فى حلقات الذكر، وقد انتشروا فى تركيا وغرب آسيا، ولم يبق لهم فى الأيام الحاضرة إلا بعض التكايا فى تركيا وحلب ودمشق، وفى بعض أقطار المشرق.

الأحباش: Ethiopian

طائفة تنسب إلى "عبد الله بن محمد الشيبى" الهررى الحبشى، نسبة إلى مدينة "هرر" بالحبشة، ولد لقبيلة تدعى الشيبانى نسبة إلى بنى شيبة من القبائل العربية. ودرس فى باديتها اللغة العربية والفقه الشافعى على الشيخ سعيد بن عبد الرحمن النورى والشيخ محمد يونس جامع الفنون ثم ارتحل إلى منطقة جُمة وبها درس على الشيخ الشريف وفيها نشأ شذوذه وانحرافه حيث بايع على الطريقة التيجانية. ثم درس صحيح البخارى وعلوم القرآن الكريم، والتقى بالشيخ مفتى السراج - تلميذ الشيخ يوسف النبهانى صاحب كتاب شواه الحق فى الاستغاثة بسيد الخلق ودرس على يديه الحديث. ومن هنا توغل فى الصوفية وبايع على الطريقة الرفاعية. ثم أتى إلى سوريا ثم إلى لبنان من بلاد الحبشة فى أفريقيا عام ١٩٦٩م. وذكر أتباعه أنه قدم عام ١٩٥٠م بعد أن أثار الفتن ضد المسلمين، حيث تعاون مع حاكم إندراجى صهر "هيلاسيلاسى" ضد الجمعيات الإسلامية لتحفيظ القرآن بمدينة هرر سنة ١٣٦٧هـ الموافق ١٩٤٠م فيما عرف بفتنة بلاد كُلُب فصدر الحكم على مدير المدرسة إبراهيم حسن بالسجن ثلاثًا وعشرين سنة مع النفى حيث قضى نحبه فى مقاطعة جورى بعد نفيه إليها، وبسبب تعاون عبد الله الهررى مع هيلاسيلاسى تم تسليم الدعاة والمشايخ إليه وإذلالهم حتى فر الكثيرون إلى مصر والسعودية، ولذلك أطلق عليه الناس هناك صفة: شيخ الفتنة.

وظهرت حديثًا فى لبنان مستغلة ما خلفته الحروب الأهلية اللبنانية من الجهل والفقر والدعوة إلى إحياء مناهج أهل الكلام والصوفية والباطنية بهدف إفساد العقيدة وتفكيك وحدة المسلمين وصرفهم عن قضاياهم الأساسية.

ويزعم الأحباش أنهم على مذهب الإمام الشافعى فى الفقه والاعتقاد ولكنهم فى الحقيقة أبعد ما يكونون عن مذهب الإمام الشافعى رحمه الله. فهم يؤولون صفات الله تعالى بلا ضابط شرعى فيؤولون الاستواء بالاستيلاء كالمعتزلة والجهمية. والأحباش فى مسألة الإيمان من المرجئة الجهمية الذين يؤخرون العمل عن الإيمان ويبقى الرجل عندهم مؤمنًا وإن ترك الصلاة وسائر الأركان[1]، وهم فى القدر جبرية يزعمون أن الله هو الذى أعان الكافر على كفره وأنه لولا الله ما استطاع الكافر أن يكفر. يزعمون أن الأموات يخرجون من قبورهم لقضاء حوائج المستغيثين بهم ثم يعودون إليها، كما يجيزون الاستعاذة بغير الله ويدعون للتبرك بالأحجار.

يكثر الحبشى من سب الصحاب وخاصة معاوية بن أبى سفيان وأم المؤمنين السيده عائشة رضى الله عنهم. ويطعن فى خالد بن الوليد، ويقول إن الذين خرجوا على على رضى الله عنه ماتوا ميتة جاهلية. ويكثر من التحذير من تكفير سابِّ الصحابة، لاسيما الشيخين إرضاءً للروافض.

كفّر الحبشى العديد من العلماء فحكم على شيخ الإسلام ابن تيمية بأنه كافر وجعل من أول الواجبات على المكلف أن يعتقد كفره ولذلك يحذر أشد التحذير من كتبه، وكذا الإمام الذهبى فهو عنده خبيث، كما يزعم أن الشيخ محمد بن عبد الوهاب مجرم قاتل وكافر، ويرى أن الشيخ محمد ناصر الدين الألبانى كافر، وكذلك الشيخ سيد سابق فيزعم أنه مجوسى كافر، أما الأستاذ سيد قطب فمن كبار الخوارج الكفرة فى ظنه[2]. ويعتبر ابن عربى صاحب نظرية الحلول والاتحاد شيخ الإسلام.

---

١ - انظر: بغية الطالب، ص٥١ .

٢ - انظر: مجلة منار الهدى الحبشية، عدد٣، ص٢٤٣ .

ينتشر الأحباش فى لبنان، حيث انتشرت مدارسهم الضخمة وصارت حافلاتهم تملأ المدن وأبنية مدارسهم تفوق سعة المدارس الحكومية، وأصبح لهم إذاعة فى لبنان تبث أفكارهم وتدعو إلى مذهبهم، كما ينتشر أتباع الحبشى فى أوروبا وأمريكا وقد أثاروا القلاقل فى كندا واستراليا والسويد والدانمارك. كما أثاروا الفتن فى لبنان بسبب فتوى شيخهم بتحويل اتجاه القبلة إلى جهة الشمال.

إخوان الصفا: Ikhwn al-Safa

جماعة سرية من المفكرين عاشت فى البصرة بالعراق فى النصف الثانى من القرن الرابع الهجرى. وكان لها فرع فى بغداد. سماها مؤسسوها إخوان الصفا وخلان الوفا. ويرى كثير من الباحثين أن هذه الجماعة باطنية إسماعيلية عملت على إشاعة مذهبها المتطرف وتثبيت أركان الدولة الفاطمية. ومن أجل الوصول إلى أغراضها وضعت هذه الجماعة رسائل جامعة لأنواع متعددة من المعارف عرفت برسائل إخوان الصفا، تناولت العلوم الرياضية والدينية والكونية والفلسفية. وهذه الرسائل أربعة أقسام:

الرياضة والمنطق وفيها ١٤ رسالة، العلوم الطبيعية ١٤ رسالة، الميتافيزيقا وعلم النفس ١٠ رسائل، التصوف والتنجيم والسحر ١١ رسالة. ورسالة أخرى خاصة بالجغرافيا تضمنت بعض الملاحظات السديدة التى سبقت عصرها.

ومنهج إخوان الصفا فى هذه الرسائل يقوم على الانتقاء والعرض الميسر بعيداً عن الموضوعات الصعبة، ولكنهم يغربون أحيانًا ويستخدمون الرمز. وإخوان الصفا فرقة باطنية تقول بأن من يعرف الله حق معرفته مستغن عن الرسل، ويذهبون إلى إسقاط التكاليف الشرعية عن الخاصة (الواصلين) والتدين عندهم انقياد كل مرؤوس لطاعة رئيسه.

ولاشك أن العلماء الراسخين قد ناقشوا المنحرف من آراء إخوان الصفا كما فعل الإمام الغزالى (ت ٥٥هـ، ٦٧٤م). ولشيخ الإسلام ابن تيمية (ت٧٢٨هـ، ١٣٢٧م) وقفات فى نقد رسائل إخوان الصفا فى مواضع من رسائله.

وتشير المصادر إلى خمسة ينتمون إلى هذه الجماعة ذكرهم أبو حيان التوحيدى[1] (ت ٤٠٠هـ، ١٠٠٩م) حين سئل عنهم سنة ٣٧٣هـ، ٩٨٣م. ومنهم: أبو سليمان بن معشر البستى المقدسى، وهو الذى تولى صياغة الرسائل، ومنهم أبو الحسن على بن هارون الزنجانى، وأبو أحمد النهرجورى، ويقال له المهرجانى، ومنهم أبو الحسن العوقى، وزيد بن رفاعة.

***

١ - هو على بن محمد بن العباس التوحيدى البغدادى، فيلسوف متصوف، وأديب بارع، من أعلام القرن الرابع الهجرى، الذى كان عصراً ثقافيًا ظهر فيه الكثير من نوابغ الأدب والفلسفة والمنطق والنحو والفقه والتفسير والكلام والتصوف، وقد عاش أكثر أيامه فى بغداد وإليها يُنسب. وقد امتاز أبو حيان بسعة الثقافة وحدة الذكاء وجمال الأسلوب، كما امتازت مؤلفاته بتنوع المادة، وغزارة المحتوى؛ فضلا عما تضمنته من نوادر وإشارات تكشف بجلاء عن الأوضاع الفكرية والاجتماعية والسياسية للحقبة التى عاشها، وهى - بعد ذلك - مشحونة بآراء المؤلف حول رجال عصره من سياسيين ومفكرين وكتاب. (انظر: محمد غالب بركات وأنور زناتى، ثمرات العلوم، سوريا: دار نينوى للنشر والتوزيع ٢٠٠٩، ص٥).

obeikandl.com